**بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم**

**تفسير سوره نصر همراه با ترجمه در انتها**

اذا جاء نصر الله و الفتح و رايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا..

يخبر الله تبارک و تعالی في هذه السوره بظهور الفتح و النصر لنبيه و دينه. فسُمّيت هذه السوره تاره بالنصر و تاره بالفتح لظهور هذه الكلمات فيها. نزلت هذه السوره بعد ان فتح الله تعالي ام القري علي يدي نبيه( ص )و سمّاه فتحا مبينا. [[1]](#footnote-2)

و لعل هذه السوره من سور الاواخر نزل علي رسول الله( ص )و ظهر الفتح بيده و كان الناس يدخلون في دين الله افواجا كما يقول:

الايه، 1- اذا جاء نصر الله و الفتح

اي اذا رايت نصره و فتحه و دخل الناس في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا.

و اللطائف العلمي في هذه السوره كثيره، منها ظهور النصر و الفتح و انهما متي كان اومتي يكون و الثاني الاشتغال بالتحميد و التسبيح و الاستغفار بعد ظهور الفتح و دخول الناس افواجا في دين الله.

فنقول متي يكون هذا الفتح و متي يقع فتح الكلي العالمي الذي سمي بالفتح الاكبر ليتحقق معني هذه السوره بتمامها و كمالها. فانّ كل شيء في العالم ولاسيما الطبيعيات و الدينيات يبدو صغيرا ثم يكبر الي ان ينتهي حد الكمال. فالفتح بيد رسول الله( ص ) كذالك يبدو صغيرا فيكبر الي ان وصل حد الكمال، فتح العالمين و الفتح الكبير. [[2]](#footnote-3)

فالظاهر انّ هذه السوره نزلت بعد فتح مكه و بعد سوره الفتح. أخبر الله نبيه بانّه سيفتح مكه و ام القري بيدي رسول الله، و سمّاه( فتحا مبينا) فانزل عليه: انا فتحنا لك فتحا مبينا...

فراي رسول الله صلی الله علیه و اله في روياه انه دخل مكه محلّقين و مقصّرين.[[3]](#footnote-4) فاخبر اصحابه بانه سيدخل مكه معتمرا يسعي و يطوف فسافر ببعض اصحابه و ساق الهدي معه. فلما علمت قريش بان رسول الله( ص )جاءالي مكه حاجّا مُعتمرا منعوه و اوقفوه في الحديبيه و لم ياذنوا له الدخول في المكه. فوقع بينهم صلح الحديبيه فرجع رسول الله( ص )ينتظر عام القابل ليحج فيها. فامره الله تعالي ان يسوق بجنده الي مكه و وعده ان يفتح ام القري علي يديه ففتحه.

و ليُعلم انّ فتح مكه من اعظم الفتوحات في تاريخ البشر و لم يقع فتح علي يدي نبي او ملِك مثله. فان مكه حرم الله الامين جعله حرما يوم دحو الارض فهي من اعظم القري و من فتحه و غلب علي اهله كانه غلب علي الله فيملك مُلك الله. فانك لا تري بلدا علي وجه الارض الا كان متداوله بين ايدي الجبارين يتسلط جبار عليه ثم يتسلط اخري يكون كالكره بين يدي جبارين.

فان القري و البلدان علي وجه الارض كمثل الذهب و الفضه يتصافق عليها الايدي تاره بيد هذا و اخري بيد غيره. فلا تري بلدا علي وجه الارض ثابته علي حالها من بدوها الي ختمها. فالبلاد كلها وقعت بمعرض هجوم الجبارين او بمعرض هلاك باراده الله بالزلازل و السيول. فكما ان لكل فرد من افراد البشر عمر مخصوص يبتدء به من تولده الي وفاته كذالك حال البلاد و القري علي وجه الارض يوما يتولد و يوما يموت كما يقول الشاعر: لِدوا للموت و ابنوا للخرابی..

فلا علي وجه الارض قريه يثبت بحالها من تولدها الي انتهائها بل الله تبارك و تعالي قدّر لكل مُلك و مملكه اجلا و لكلٍ من البلاد و اهلها اجلا كما قال: لكل امه اجل اذا جاء اجلها لا يستاخرون ساعه و لا يستقدمون...[[4]](#footnote-5)

فينقضي عمر البلاد اما بموت اهلها او بالحروب و السيول و الزلازل و هجم احد علي احد و مَلّك علي سلطان فان اردت ان تجد بلدا اقدم تولدا علي كل البلاد و ابقي بقاء الي ما شاء الله لم يجرِ و لا يُجري عليها الحوادث و الآفات فيهلكه و لم يكن دولا بين بين الاقوياء و الجبارين لكان هو حرم الله الامين و الكعبه المعظمه لاصالتها و حفظها ما حولها من القري. لانّ الكعب بمعني الاصل و بالفارسي (پايه و ريشه )و كعب الشیء اصله و متّكاه و كعب كل شيء مركز ثقله يجذب و لايجذب، يُزار و لا يزور و لذالك سموا رِجل الانسان و مركز ثقله يتّكاء عليه( كعبا) كما يقول الله: و امسحوا برئوسكم و ارجلكم الي الكعبين...[[5]](#footnote-6)

و الكعبان هناك منتهي اصابع الرجل و قبّتاه متصلين بالساق. فسموا الكعبه كعبه لانها مركز ثقل البلدان تَجذب اليها القري و لا تُجذب. فهي مركز القري و البلدان.

و سُمّيت ام القري لاصالتها و قِدمتها في حدوثها و بنائها. كانت اول بناء بُنيت علي وجه الارض بناه آدم ابو البشر. و قيل انه لمّا آوي اليه من الفلوات بعد التويه جعله الله في امن و سلامه و خَيّم له خيمة في محل البيت ثم امره ببناء قواعد البيت و جعل فيها حجر الاسود. قيل انها كانت حجرا بيضاء من احجار الجنه فاسودّت بلمس ايدي الناس.[[6]](#footnote-7)

فهي اول بيت وضع للناس كما يقول الله تعالی: مباركا و هدي للعالمين.[[7]](#footnote-8)

فعلمت سائر الناس من بناء هذا البيت بناء بيوتهم. فاجتمعت البيوت فصارت قريه و بلدا و مملكه. فهي ام القري من هذه الجهت الي اَن آن وضعُ الارض علي ما تري. فان القري يتولد من البيوت الي ان آن كل الارض بلدا واحدا و مُلكا و مِلكا واحدا بقيام الامام علیه السلام. فهذا البناء امّ الابنیه کما وصفه الله تعالي بهذه الامّيّه.[[8]](#footnote-9)

فالكعبه ام الابنيه و ام القري. و الام بمعني الاصل يئوم بها الفروع. و سَمّوا الامَ اُمّا لاصالتها في التوليد و مرجعيتها في حيات الاولاد كما تري وضع الام في البيت. كذالك هذا البيت بناه آدم بوحيٍ من الله. فتولدت من بنائه بناء البيوت و البلدان ثم تكون مرجعاً لسائر البيوت يلجئون اليه من الحوادث. فمن حجّ البيت يومن من حوادث الكفر و الطغيان و يكون مامونا في دينه الي ان يد خل الجنه. ياوي اليه الخائفون فيامنون من شر السِباع و الظالمين. جعلوه كعبةً لمركزيّتها كانّها كعبٌ و رِجلان يمشي عليها ابدان البلدان في حركاتها التكاملي. ثم جعلوه اُمّا لما تولد منه القري و البلدان و هي مرجع للعالمين ياوون اليه و يحبونه.

و قيل في التفاسير في وجه تسميتها بام القري بانها ام الارض دُحيت من تحتها ساير قطعات الارض.[[9]](#footnote-10) و الظاهر من هذه التفاسير ان ارض مكه اول قطعه من قطعات الارض خلقها الله اولا ثم اخرج من تحتها ساير القطعات. فمثل هذه الروايات و ان دلّت ان بناء ارض مكه اول قطعه من قطعات الارض بُنيَت باراده الله، ولكن لا يناسب كيفيه خلق الاراضي. و يمكن ان يقال بانّ اولية خلق اراضي مكه اولیةٌ رتبيه لانها احبّ الاراضي عند الله فخلق لها ساير القطعات، كاولية الثمره علي الشجره في علم الله. فان سُئل عن اول قطعه من الشجر خلقه الله اجيب لها بجوابين: الاوليه في حكمة الحكيم و الاوليه في خلقها. فالاوليه في حكمة الحكيم هي الثمره و الاوليه في الظهور هي الشجره و نواتها وكذالك خلق الارض. فان الارض كرويّة في خلقها فتنبت من بذرها و هي مركزها يقال لها( ثري )فينبت علیها بناء الارض الي ان كملت ثم نبتت عليها الجبال.

فلم يخلق الارض من ظاهرها الي باطنها بل بدء من باطنها الي ظاهرها كخلق ساير الاشياء في العالم. فانك لا تري خلقا من الخلايق الا و يبدو صغيرا من باطنها و هي مركز ثقلها ثم ينبت و يكبر علي هذه المركز. فاول شيء يخلق من جسم الانسان فينبت الجسم عليه هي القلب فينبت عليه ساير الاعضاء. لا يكون ابنية الله كابنية يبني من ظاهرها الي باطنها كصنايع البيوت و السيارات. فالجبال بنيت علي سطح الارض لا سطح الارض علي الجبال، كثدي المرأة نبتت علي بدنها.

فيقال ان موضع مكه اول في علم الله تعالي و آخر في خلق الارض كاولية رسول الله( ص )علي ساير الانبياء. سُئل عنه( ص )كيف قدّمتَ علي الانبياء و انت آخرهم؟ فقال: سبقتهم بالاقرار.[[10]](#footnote-11) فيعرّف بان اوليته (ص )رُتبيّ في علم الله و آخريٌ في خلقته و ظهوره بعد سایر الانبیاء . فبهذه التوجيه يمكن ان يقال بان ارض مكه اولٌ في علم الله و آخر في الخلق و الظهور.

و ذالك ان الله علم في مكنون علمه بان ارض مكه مَهاجر ابراهيم و ظهور اسماعيل و ظهور محمد و الائمه من ولده صلی الله علیهم اجمعین، فجعلها اولا. كما ان الله تعالي شرّف ارض كربلا لعلمه بانّ هناك مقتل الحسين عليه السلام و محل شهادته و دفنه، يأوي اليه الناس لزيارته، يهتدي الناس بشهادته.[[11]](#footnote-12) فهذه الاوّليّات كلُها رُتبيّ، و اوليّة الوقوعي غير ذالك.

فبيت الله تعالي اولٌ في علمه من حيث المكان و اول من حيث البناء لانّها اول بيت وضع للناس و تبعها في البناء ساير البيوت و البلدان فسُمّيت ام القري. و لو كان اول قطعة خُلقت من قطعات الارض يناسب ان يسمي ام الارض.

فجعل الله تعالی هذا البيت حرما آمنا و جعلها مركز ظهور علمه و قدرته و اوليائه الكُمّلين و ماوي انبيائه و عباده المومنين. و لذالك اراد ابراهيم الخليل ان يطلب موضعا آمنا يسكن زوجته هاجر و ابنها اسماعيل فلم ير موضعا امنا غير حرم الله. فقال: اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم...[[12]](#footnote-13)

فلم يكن في علم ابراهيم موضع امن غير مكه يسكن فيها ذريته. و ذالك دليل علي ان حرم الله كان قبل ظهور ابراهيم لا مع ظهوره و دليل علي انه لم يكن ليُبنِ بيت الله بل بُني قبل ظهوره بيد آدم، بل رفع بقواعدها، كما يقول: و اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت و اسماعيل...[[13]](#footnote-14) و لوكان ابراهيم هو الذي بني البيت و لم يكن للبيت سابقه كان يجب ان يقول و اذ بني ابراهيم البيت.

و يقول ابراهيم: رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم... و جاء الروايات[[14]](#footnote-15) بان اول من بني بيت الله آدم ابوالبشر و هناك كان الجنه التي خلق فيها آدم و زوجته و رفع جبرائيل لآدم و زوجته خيمه بنور اخضر فبني آدم مكان الخيمه هذا البيت بعد قبول توبته ليكون ذكرا له و لولده. و ذکرنا فی شرح دعاء الندبه ان مکان الجنة التی خلقا آدم و حوا فیها کان هذا البیت، فیها خمسة الطیبه. و خلق آدم و حوا لهم لیکملا باطاعتهم ثم عصیا فانقلبت جنتهما فلات من الفلوات. و حفظ الله تعالی البیت التی کانت الخمسة اهلها. یکشف ذلک ضمن قولهم فی الجامعه: بکم بدء الله و بکم یختم..[[15]](#footnote-16) و یؤیدها غیر ذلک من الروایات.

فجعله الله تعالي حرما آمنا و لم يقدر احد من الجبابره و السلاطين ان يتسلط هذا البلد و يحكم عليها غير رسول الله لانه( ص )كان اهلها و مالكها.

و انك تري علي وجه الارض بلادا كثيره يتداول بين الجبابره و السلاطين يوما بيد هذا يحكم عليها و يوما اخري بيد غيره يحكم عليها فلا نري علي وجه الارض بلدا و مملكه وقعت في عصمه الله تعالي يحفظها و يمنعها ان يتسلط عليها احد الا هذا البيت و هو حرم الله الامين. فلم يوجد احد في طول التاريخ ان يتسلط عليها فهي امنع القراء و اهلها كلها احرار في طول التاريخ. فلا سلطانا جابرا يقود بجنده الي فتح مكه و التحكم عليها الا و اذلّه الله قبل ان ينال شيئا مما يريد كمثل ملوك التبابعه من اليمن و ملوك الحبشه و منهم ابرهه، قاد بجيشه و هي ثلاثين الف ففعل الله بجيشه ما فعل. ارسل عليهم طيرا ابابيل فجعلهم كعصف ماكول[[16]](#footnote-17)

فمكه حرم الله الامين امنع البلاد و اعصمها كان في حمي الله فلا يمكن لاحد ان يغلب الله في سلطانه. فكان اهل مكه علي هذه المنوال في حياتهم آمنين متمتعين لا يتسلط عليهم جبار فيذلهم و يحكم عليهم الا ماينال بعضهم من بعض يظهر فيهم و منهم حاكم و محكوم و قاهر و مقهور و لم يكن يعلم اهل مكه بان كل هذه المقدرات لهم انما هي ببركه هذا البيت و يظنون ان لهم شان عند الله. يقول الله تعالی: فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من الجوع و آمنهم من خوف..[[17]](#footnote-18) فخالفوا رسول الله( ص)دعوته الي الله و فعلو ما فعلوا من الايذاء و العصيان و الطغيان حتي اخرجوه من بلد الله الامين و هو بنبوته و عظمته اهل هذا البلد، و لم يدروا انه لا ينفعهم الحرم ان لم يكن لها اهل. انما البيوت باهلها و كان يجب عليهم ان يعظّموه و يعظّموا به حرم الله الامين. فاخرجوه من البيت فقال الله تعريضا لهم: و اخراج اهله منه اكبر..[[18]](#footnote-19) فاسمعهم بان اكبر الكبائر اخراج اهل البيت عن البيت ولا ينفع بيت لم يكن له اهل ثم انزل الله تعالي: لا اقسم بهذا البلد و انت حل بهذا البلد..[[19]](#footnote-20) فان لم تحل بهذ البلد انت و اهل بيتك لم تكن بلدا يقسم الله به. فلما اخرجوه الي المدينه جعل الله المدينه حرما فايّده الله بجنده حتي فتح المكه و سمي الله هذه الفتح فتحا مبينا عظيما لانه فتح بلدا لم تقدر الملوك و السلاطين يفتحونه في طول التاريخ و انما اذن الله رسوله بفتحه لانه اهل البيت و مالكه احل الله تعالي له و لاهل بيته في بيته ما لم يُحل لاحد غيره. ففتحُهُ فتح عظيم مبين لم يكن له سابقه.

و لو شئت ان تعلم بانهم عليهم السلام اهل البيت و مالكها، يحل لهم ما لم يحل لغيرهم فانظر الي حديث سد الابواب[[20]](#footnote-21) جائت الروات متواترا بان رسول الله( ص )لما قَدَم المدينه بني لله مسجدا و هو مسجد الرسول الآن و بني المهاجرون حول المسجد بيوتهم يفتح ابواب بيوتهم من المسجد يدخلون المسجد و ينامون فيه. كذالك بني رسول الله واهل بيته علیهم السلام ايضا بيوتهم و فتحوا من بيوتهم بابا من المسجد و كلهم كانوا يدخلون المسجد و لعلهم كانوا جُنُبا. فنزل جبرائيل علي رسول الله( ص )و قال ان الله يامرك ان تسد كل باب يفتح من المسجد الا باب علي و فاطمه و الحسن و الحسين. فامرهم رسول الله بسد ابوابهم الا بابه و باب اهل بيته. فخاض الناس في هذا التبعيض و قالوا فيه ما قالوا و قالوا يا رسول الله تامرنا بسد ابوابنا و فتح باب اهل بيتك؟ و سئل بعضهم رسول الله( ص )ان ياذن له ليَدَعَ كُوّة من بيته الي المسجد فقال اني احب ان اريك في المسجد تصلي فابي عليه و قام خطيبا يقول: ان الله امرني بسد ابوابكم و فتح بابه. امرني ان اَبني بيتا طاهرا لا يسكنه غيري و غير اخي و ابنيه احل لِعليّ ما احل لي و احل لي ما لم يحل لغيري. فلا يجوز لغير رسول الله ان يدخل المسجد و ينام فيه جنبا كانه بيته غير رسول الله و علي و فاطمه و ابنائهما من الائمه المعصومين. فان لكل بيت حريم و اهل يحل لاهله ما لا يحل لغيره. كذالك لبيت الله ايضا حريم و اهل يحل لهم في بيوت الله ما لا يحل لغيرهم. فهم( ع )اهل بيوت الله اذن الله لهم ما لا ياذن لغيرهم لانهم مطهرون من الارجاس و الادناس.

و معلوم ان هذه الطهاره غير الطهاره المعروفه من النجاسات لان المسلمين كلهم مامورون ان يطهّروا المساجد من النجاسات و ما مورون ان لا يدخلوا المساجد حال كونهم متنجّسين متقذّرين فان كانت الطهاره بمثل هذا فالمسلمون كلهم مطهرون طاهرون. فما معني قوله (ص )ان الله امرني ان ابني له بيتا طاهرا؟ فمعلوم ان هذه الطهاره غير الطهاره المعروفه قبال النجاسه بل طهارة باطنيّه من كل رجاسه و نجاسه كما يقول: انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس و يطهركم تطهيرا..[[21]](#footnote-22) فطهّر الله اهل البيت من كل رجس لم يطهر غيرهم

و الدليل علي انهم اهل بيوت الله الآيه الشريفه: يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير و صد عن المسجد الحرام وكفر به و اخراج اهله منه اكبر..[[22]](#footnote-23) فاخبر بان الرسول اهل المسجد الحرام و هؤلاء اخرجوا اهل المسجد من المسجد وجعل الله تعالي مولد علي في المسجد ليعلم الناس انه اهل المسجد فيحل لهم في المسجد ما لم يحل لغيرهم. فهم اهل بيوت الله اذن الله لهم و لمن يتبعهم ان يفتحوا بيوت الله اذا كان بايدي المشركين.

فكان بيت الله بايدي المشركين بعد ما هاجر الرسول الي المدينه فاذن له ان يفتح بيته فقال: انا فتحنا لك فتحا مبينا..

فهذا الفتح يكون فتح الارض كلها و ان كان فتح بلد واحد و لعله وقع في التاريخ فتوحات اعظم منه كفتوحات كورش و اسكندر المقدوني و فتوحات الخلفاء بعد رسول الله. فتحوا في زمانهم بلادا عظيما كثيرا، الاّ انّ فتح مكه من حيث الكيفية فتح عظيم. فتح رسول الله( ص )هذا البلد العظيم و فتح بفتح هذ البلد كل البلاد الي ان يكمل دينه و اظهره الله علي الدين كله و لو كره المشركون.

فعلي هذا فتح حرم الله اعظم الفتوح و لا يجوز لاحد ان يفتح حرم الله الا ان يكون اهل الله. فرسول الله( ص )لم بفتح حرم الله بقوة في بدنه و كثرة من جنده بل فتحه بكثره ايمانه و اخلاصه لله تعالي فجعله من اهل بيته.

و يخبر الله في هذه السوره عن هذا الفتح الذي يكون فتح القلوب قبل ان يكون فتح الابدان و البلاد يقول: اذا جاء نصر الله و الفتح... فاردف الله تعالي هذا الفتح بالنصر ليعلم بذالك ان مثل هذا الفتح لا يمكن لاحد الا بنصر الله تعالي

ثم يامره الله تعالي بعد هذا الفتح و ورود الناس في دينه افواجا ان يسبح الله بحمده و يستغفره.

الایات 2- الی آخر: و رأیت الناس یدخلون فی دین الله افواجا فسبّح بحمد ربک و استغفره انه کان توّابا.

ففي مثل هذه الجملات التي اردف الله بعضها ببعض لطائف كثيره عميقه جلبله لا يحصي. و منها انه تعالي شرط لرسول الله شرائط فقال اذا كان كذا و كذا فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا، مع ان التسبيح و التحميد من الواجبات المطلقه لايقيّد بقيد و لا يشترط بشرط. يجب علي الانسان و لا سيما الانبياء في كل حال. و يقال ذكرُ الله حَسَنٌ علي كل حال و لا يقوم ذكر الله و حمده الا بالتسبيح و لا يكون مقيدا بقيد و جعل الله التسبيح و التحميد في هذه السوره مقيدا بالفتح و الدخول في دين الله افواجا.

فيكشف من ترتّب المطالب بعضها ببعض بان لرسول الله و من يقوم مقامه من الائمه المعصومين حالات فردي شخصي يقوم بهم لانفسهم كان معهم غيرهم ام لم يكن. فهذه الحالات غير مقيد بشئ و شخص يكون معهم كصلاتهم و صومهم و ذكرهم و تفكراتهم التي تقوم بهم و ساير التكاليف الفرديه الشخصيه. فهذه الحالات غير مقيد بشئ و شخص، يصفهم الله في تلك الحالات يقول انهم في صلاتهم دائمون[[23]](#footnote-24). و لا يلهيهم تجاره و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاه[[24]](#footnote-25).

ثم حالات اخري لهم اجتماعي يقوم لهم بغيرهم يكلَفون باعمال خاص يقوم معهم غيرهم يطيعهم و يتبعهم كالامامه في صلاة الجمعه و الحكومه علي الناس، يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر. فهذه الحالات و التفكرات تقوم بهم اذا كان معهم غيرهم اذا كان معهم غيرهم يامرون بالمعروف او اذا كان معهم متعلم يعلمون و هذه التسبيحات في هذه السوره كذالك لهم حالات اجتماعي، وُجد المشروط اذا وُجد الشرط. يامره الله تعالي يقول اذا رايت الناس يدخلون في دين الله فاجمعهم في حوزة دينك و علِّمهم التسبيح و التحميد و الاستغفار.

و لعلك تظن او تقول اذا دخل الناس افواجا في دين الله و سلّم الامر لرسول الله و لاهل بيته لم يكن عليهم و علي الناس بعد ذالك تكليف من امر و نهي لانه بعد قبول دين الله و الورود في اطاعتهم يحصل لاهل الارض النظام الانساني الطبيعي و التمدن البشري. يُظلّ الله تعالي علي الناس بظلّه الظليل يفيض عليهم رحمته و بركاته فلا يظهر علي الارض فساد و فاسد و عاص و كافر بعد هذه النظام و التمدن و رَفَع الشر و الفساد فلا وجه لهذه التكاليف. لان المقصد من التكاليف و قيام الانبياء اهتداء الناس و ورودهم في دين الله بحيث لا يكون علي وجه الارض شر و فساد. يدخلون الناس في ولايه اولياء الله افواجا كالمهاجرون يصلون الي مقصدهم و يدخلون جنتهم. فلا حركة و لا تكليف بعد ذالك و بعد الوصول الي المقصد لا حركه و اذا لم تكن الحركه لا امر و لا نهي. فكل هذه الحركات و التكاليف انما هي ليقوم الناس الي رب العالمين و يدخلون في ولايه الله و ولايه الائمه المعصومين. فاذا وصلوا قعدوا و استراحوا، كما يقول الله: و اعبد ربك حتي ياتيك اليقين[[25]](#footnote-26) و يقال حلال محمد حلال الي يوم القيامه وحرامه كذالك.[[26]](#footnote-27) فجعلوا للحركه الدينيه ابتدائا و انتهائا. فابتدائه يومَ دعوة الناس الي الله و انتهائه يومَ ورود الناس في دين الله و هو يوم الدين، كما يقول: و قاتلوهم حتي لا تكون فتنه و يكون الدين كله لله..[[27]](#footnote-28)

فعلي ذالك ينقضي الامر و النهي بعد دخول الناس في دين الله فكيف يقول الله اذا رايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا؛ مع انه بعد ورود الناس في دين الله و قبولهم ولايه الله ينقضي التسبيح و الاستغفار و ينقضي الصلاه و الزكوه و ساير العبادات.

فنقول في جواب هذا الاشكال ان الانبياء اُمروا ان يدعو الناس الي دين الله و دين الله ولايته، و ولايته مكتبه و مكتبه محل التفكر و التعلم و العروج بهذه التفكر و التعلم الي الله تعالي. فالانبياء يدعون الناس الي دين الله و تطلبون منهم القبول و التسليم فاذا قبلوا هذه الدعوه و دخلوا في دين الله يبدء بهم الحركات التكامليه و يعرج بهم الانبياء و الائمه الي الكمال و العروج الي الله كما يقول الله: تعرج الملائكه و الروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنه..[[28]](#footnote-29) و هذه اليوم يوم القيامه و يوم القيامه يوم الدين و يوم الورود في المقصد. فتري انه يبدء بالحركات التكامليه الي يوم ورودهم المقصد و هي حوزة ولايت الله و اوليائه و سَمّي الله هذا اليوم يوم الدين فقال: مالك يوم الدين، و يقول: و قاتلوهم حتي لا تكون فتنه و يكون الدين كله لله..[[29]](#footnote-30) فيوم القيامه يوم الدين و يوم الدين يومٌ يرجع فيه الناس الي الله. فهذا اول يوم التسبيح و التحميد و الاستغفار يقول الله تعالي: هو الذي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون..[[30]](#footnote-31) فجعل الرجوع اليه بعد حياة الناس و بعثهم عن القبور. و الرجوع الي الله هي الحركات التكامليه يعرفون الله بالتسبيح و الاستغفار الي ان آن لهم اوان لقاء الله.

و بتعبير اخري ان دين الله هو المكتب و المكتب هي العلم و العلم هي الدين و ان الله تعالي و اوليائه و انبيائه و كل شيئ له و به تعالي هي الكلمات، لا يعرف الا بالعلم؛ و الرجوع اليه هي الرجوع العلمي بمعني حصول العلم و المعرفه. فمن ابصر شيئا و علّمه تخطأ بعلمه الي الله و من ابصر شيئا و لم يعلمه كمن راي الطريق و لم يسلكه. فلا يُعرف الله و لا يُرجع اليه الا بالعلم. و لذالك تراه تبارك و تعالي يعرّف العوام و الجهلاء يقول: لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل..[[31]](#footnote-32) فعرّف الله تعالی للانعام قيمة البهيميه يعيشون عليها و لم يعرّف لهؤلاء الكافرين الضالين المضلين شيئا يطلبهم احد بل هم كالسباع الضاريات: أينما ثقفوا اُخذوا و قُتّلوا تقتيلا...[[32]](#footnote-33) لم يكن منهم لبني نوعهم ذرة مثقال من خير. يوبّخهم الله تعالي و يجعلهم اضلّ من السباع الضاريات. فمن لم يكن له علم لم يكن له دين و من لم يكن له دين لم يكن له علم. ان الدين و العلم متلازمان، احدهما عين الاخري. و هل رايت نبيا بلا علم و كتاب؟ فالدين كله لا ظهور له عند الناس الا بالعلم. المُصلّي من عرف الصلاه و المُزكّي من عرف الزكاه، كذالك ساير الاحكام و الاخلاق و الفضائل. فليخرج مِن حوزة الدين من لم يكن له ذرة مثقال من العلم و المعرفه وان لم تُخرجه يُخرجه الله و هو الذي يُعرّفه الله تعالي في كتابه و يقول هو الذي اخرج المرعي فجعله غثاء احوي...[[33]](#footnote-34) فالمرعي هؤلاء الجهله، تكن مرعي للظالمين تغتذي بهم الذئاب و الكلاب يجعلونهم طعمه لانفسهم و يجرونهم الي نار جهنم، يقول الله تعالی: ألم تر الي الذين بدّلوا نعمة الله كفرا و احلّوا قومهم دار البوار...[[34]](#footnote-35)

فالدين و العلم توأمان متلازمان. فان الله تعالي امر الانبياء و الاولياء ان يعلّموا الناس دين الله و مكتبه فمن اجاب دعوتهم دخل الدين و المكتب و من لم يجب لم يدخل. و الدخول في المكتب غير التعلم فيه. فالانبياءكلهم دعووا الناس الي المكتب و لم يتمكن لهم ان يجلسوا كرسي العلم و الحكمه فيعلّموا الناس ما علّمهم الله. و كذالك رسول الله(ص)دعي الناس الي دين الله و اجابه خلق كثير و لم يقدر ان يعلّمهم ما علّمهم الله و كان يقول: الي الله اَشكو ما يُلقي عترتي من بعدي[[35]](#footnote-36)... و عترته اهل بيته، و اهل بيته العالمون الكملون لم يتمكن لهم ان يُعرّفوا الناس انفسهم ليرجعوا اليهم. فلم يَعرفهم احدٌ يتعلم منهم. فشبّههم الله بالبئر المعطّله لم ينزح منه الماء، و القصر المَشيد لم يسكن و لم يلجاء اليه.[[36]](#footnote-37) فانك تري و قد غاب عنهم حجة الله الامام الثاني عشر معدن العلم و الحكمه وليّ الدين و وصي رسول رب العالمين. غاب عنهم يخاف منهم ان يعرّفهم نفسه، اَخافه جهلُ الناس. فكل ذالك دليل علي اَنّ الناس اِن اجابوا دعوة الله و قالوا لا الاه الا الله دخلوا الدين و لم يتعلموا شيئا الا قليلا منهم.

فهذا اليوم قبل ظهور القائم، يوم الدعوه و يوم الاجابه لا يوم التعليم و التعلم؛ و يوم التعلّم انما هي بعد ظهور القائم( ع )

فنري الله تعالي اخبر في هذه السوره عن حالتين في الناس جعل احدهما شرطا و الآخر جزاء فقال: اذا جاء نصر الله و الفتح و رايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا.. فحالة الاول الدخول في الدين و حالة الاخري التسبيح و الاستغفار.

ثم اعلم انه يجري هذان الحالتان علي الناس طُرّا جميعا من لدن هبوط آدم الي قيام القائم يعني انه يجب علي كلهم ان يدخلوا دين الله بحيث لم يبق احد خارجا عن الدين يجري عليهم هذه الحال في الحيوه الدنيا من التولد الي الموت لكل واحد و من الهبوط الي القيام لكل البشر. ثم يجري لهم و بهم الحالة الثانيه و هو التسبيح و الاستغفار و يحتاج هذه الاجتماع الي فتح عظيم يعمّ الاولين و الآخرين، سمّاه الله تبارك و نعالي الفتح الاكبر و هي فتح بيد الامام الثاني عشر( ع )و وصف( ع) بيوم الجمعه و هي يوم مجموع له الناس[[37]](#footnote-38) ويوم مشهود[[38]](#footnote-39) لانه جاء في تفسير ايام الله عن قول رسول الله(ص): لا تعادوا الايام فتعادوكم..[[39]](#footnote-40) يقول الامام الصادق علیه السلام: نحن الايام من عادانا في الدنيا عاديناه في الآخره[[40]](#footnote-41) يقول السبت رسول الله و الاحد امير المومنين و الاثنين الحسن و الحسين و الثلثاء علي ابن الحسين و محمد بن علي و جعفر ابن محمد و الاربعاء موسي ابن جعفر و علي ابن موسي و محمد ابن علي و علي ابن محمد و الخميس الحسن ابن علي و الجمعه الامام الثاني عشر محمد ابن الحسن و هو يوم مجموع له الناس و يوم المشهود.

و ذالك ان الايام يقوم بالانسان و الائمه هم الذين قام بهم الايام من لدن آدم الي قيام القيامه. فلا يقوم الزمان و المكان الا بمن قام به الزمان و المكان و هم الذين قام بهم الحيات علي وجه الارض كما يقال حيات الارض بالانسان و حيات الانسان بالعلم.[[41]](#footnote-42) فلو لم يكن الانسان في العالم لم يكن ارض و لا سماء و لاسيما الانسان الكامل الحق المطلق الذي جعله الله وليا و اخذ علي ولايتهم ميثاق الناس. فهم و ان كانوا اربعه عشر الا انهم في القول و العمل و القيام في الناس و الهدايه و ما يفيض بهم و منهم شخص واحد كما قيل كلهم نور واحد. فمحمد عليٌ و عليٌ الحسنان و كلهم الحجه القائم( ع )فاذا قام واحد منهم قاموا جميعا و اذا غاب و قعد واحد منهم غابوا جميعا. فانهم و ان كانوا متعددين بالكَمّ اربعه عشر و لكنهم واحد بالكيف. علمهم و سلوكهم و دعوتهم و كل اثر من آثارهم واحد. نور واحد يستضيئ بهم الناس و لم ير فيما يقولون و فيما يعملون و فيما يريدون و يامرون اختلاف ابدا و يتبعهم في هذه الوحده الانبياء جميعا. كلهم قاموا بدين الله و ماتوا او قتلوا في سبيل الله. فقال ابراهيم ما قال نوح و قال عيسي و موسي ما قال محمد ( ص )و اكمل الله تعالي نورهم و علمهم بمحمد( ص )فكلهم نور واحد يجرون علي مجاري حكمه الله تعالي. كلهم واحد في الدعوة و الحركه و العلم و العمل و ان كانوا متعددين في الزمان و المكان. فلا يضر التعدد بالكَمّ ان كان الوحده بالكيف، كتفاحة كثيره من شجرة واحده. فَرَََجلان في قول واحد رجل و ملائين رجال في صراط واحد رجل واحد ينالون مقصدا واحده و لا تجري التفرقه في صراط واحد و يجمع الله كل البشر في ظل دعوه الانبياء و اجمع الله دعوة كل الانبياء فی ظل دعوه خاتمهم و دعوة الخاتم في ظل دعوة امير المومنين و جمعهم كلَهم في ظل دعوة الامام الثاني عشر و رفع بهم كلهم الي فناء رحمته تبارك و تعالي. فاذا قام عليه السلام يقوم اليه الانبياء و المرسلون و الصلحاء و المتقون يظهر بهم الملك العظيم الذي وعده الله تعالي آل ابراهيم و لذالك سمي قيامه يوم الجمعه، يوم مجموع له الناس و يوم مشهود، كما يقول الله تعالی: يوم مجموع له الناس و يوم مشهود في قوله و شاهد و مشهود..

فاليوم الموعود ما وعد الله به كل البشر من لدن آدم الي يوم القيام فيفرج الله به عن الناس كلهم، يظهر بقيامه الفتح الاكبر و هو المصداق الكامل من هذه السوره حيث يقول: و رايت الناس يدخلون في دين الله افواجا. فهذه الحاله الاولي جعله الله شرطا في هذه السوره يوم الدعوه و القبول و يوم الحركه و الورود الي المكتب.

ثم يتبع الحالة الاولي علي البشريه جميعا الحالة الثانيه و هي الورود في مكتب، يكشف فيه الحقايق كما هي عليه؛ و هي حالة التسبيح و الاستغفار.

و اعلم ان التسبيح و الاستغفار و التحميدكلمات يجري علي اللسان حين قبول الدعوه و يكشف علي القلوب معانيها حين الورود في مكتب الولايه. و التسبيح اُخذ من السبح و السباحه من باب التفعيل لها معنيً ذكريٌ و تلفظيٌ و معني علميٌ تكاملي. فمعناه الذكري ما يجري علي اللسان، و التكاملي ما يجري علي القلوب، تنزه ذات ربك عن شباهة ما عليه اصول الخلايق فضلا عن فروعها تنزّها علميا ذاتيا. كانك تري ذات ربك منزّها عن شباهه ما عليه حقايق الخلايق.

و السباحه يستعمل في السباحة علي الماء يترجم بالفارسي (شنا كردن )و كثيرا يشبّهون الماء بالعلم و العلم بالماء لانّ بهما حيات الماديات و المعنويات. و ما اكثر هذه التشبيهات في لسان القرآن و الائمه المعصومين عليهم السلام يسمي تاويلا كما يقول: انزل من السماء ماء فسالت اودیة بقدرها..[[42]](#footnote-43) يقول الامام علیه السلام: انزل من السماء علما فسالت القلوب بقدرها...[[43]](#footnote-44) فكما ان بالماء حيوه الابدان تكون بالعلم حياه القلوب و الارواح. فتشابه العلم و الماء. و السابح تاره يسبح في الماء و تاره يسبح في العلم يطلب العلوم و الحقايق. و التسبيح اخذ من السباحه في العلم، يسبح الرجل في بحار العلوم فينزّه ربه عن شباهة ما هي في البحر من الخلايق. فمن اخرج الله تعالي بعلمه و حكمته عن شباهة ما عَلِمه في العالم فهو مسبّحٌ حقيقي ينزّه ربه عن مجانسه الماديات و الروحانيات.

و التحميد ايضا مثل التسبيح لها معني ذكري لغوي و هو ما يجري علي اللسان من قولك: الحمد لله رب العالمين.. و لها معني علمي تجده في العلم و الحكمه بعد سَبحته بما خُضتَ في بحار العلم و الحكمه، تجد بذالك ربك حكيما عليما فيما يخلق و يحكم و يدبر و يقدر. فلا تجد في هذه الصنايع العجيبه الغريبه و البدايع علي وجه العالم شيئا خلقه الله لغوا عبثا لا يستحق به المدح و الشكر و لا تجد كذالك حُكما لا حكمة لها. فهناك تصف ربك بكل الصفات و تُنزّهه بما تصفه من العبث و السفاهه و الظلم و كل صفة يمكن ان يكون غيره تعالي فيه و عليه بلا حكمه. فبذالك العلم و العرفان تصف ربك و تثني عليه فيكون الثناء عليه بهذا العلم و العر فان حمدا.

و الغفران كذالك لها معني عرفي يجري علي اللسان تقول: استغفر الله ربي و اتوب اليه، ربنا اغفر لنا، و امثالها. و لها معني علمي تكاملي يطلب بالعلم و يوجد في العلم و هي ما تجد كمالا علي نقص و علما علي جهل و قدرة علي ضعف. فمن وجد نفسه جاهلة امارةٌ بالسوء يطلب ربه ان يرفع هذا الجهل فرفعه الله فهو الذي طلب من الله الغفران علي ذنبه. فالذنب هي النقص و هي غير العصيان. العاصي من ترك امر الله مقصرا و المذنب من ترك امره قاصرا، و القاصر غير المقصر. القاصر يعمل بهوي نفسه و لم يجد العلم و المقصر يعمل علي هوي نفسه تاركا للعلم بعد ما وجده. فالمستغفر هو الذي يجد نفسه جاهلا يدعو ربه ان يرفع هذا الجهل و يعلّمه موارد رضا و غضبه ليقدر ان يبارز هوي نفسها و يجد نفسه ضعيفا يدعو ربه ان يعينه علي هوي نفسه و يجد نفسه عاجزا عن ترك المعاصي و فعل الواجبات فيستعين ربه ان يعينه علي هذا الجهاد و البراز فيجعل الله له قوة في نفسه يقدر به علي ترك المعاصي وكفّ النفس عن المشتهيات. فيسمي هذه العلم و القدره التي اُفيض بهما علي نفسه غفرانا و المستغفر يطلب هذا الغفران. و هذا الغفران يطلب قبال الذنوب كما ان العفو يطلب به قبال العصيان. فالقاصر يستغفر و العاصي يستعفي. يعفو ربه ان يمحو عن نفسه آثار العصيان فيمحو الله آثار العصيان و هي ظلمة القلب عن نفس العاصي يقول: يمحو ما يشاء و يثبت و عنده ام الكتاب..[[44]](#footnote-45)

فهذه هي علم الثانيه للتسبيح و الاستغفار، معاني علمي تكاملي و المعاني الاولي معاني ذكري تلفظي.

و الناس في اطاعة ربهم و عدم الاطاعه علي ثلاثه اقسام: عاصٍ و مذنبٍ و مطيع. فالعاصي هو الذي يعرف الامر و النهي و تمّ الحجة عليه بقيام نبي او ولي. اُنذر بالكفر و العصيان و هُديَ الي صراط مستقيم فيعصي ربه عن علم، يتجرّء بعصيانه علي ربه. يترك الاوامر عن علم بما امره الله و يعمل بالمعاصي عن علم بما نهاه الله. يظهر علي قلب هذا العاصي نكتة سوداء بعصيانه و يشتد الظلمة علی قلبه بتكرار المعصيه كما يقول الله تعالی: و الذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات..[[45]](#footnote-46) فيخرج عن النور بولاية اولياء الكفر و يشتد الظلمة علي القلب بكثرة معاصيه الي ان أحاطت به خطيئته و صار الكفر حاكما عليه كما يقول الله تعالی: بلي من كسب سيئة و احاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون..[[46]](#footnote-47) فيظهر في قلب هذا و نفسه آثار العصيان كما يظهر في البدن الجراحه. فان كل معصيه جراحة علي القلب كما ان كل ضرب و قتل جراحة علي البدن يقول الشاعر: جراحات السنان لها التيام و لا يلتام ما جرح اللسان.. فجراحة اللسان التي لا يلتام هي الجراحة علي النفس و القلب كمن يُشتمك فتتألّم بشتمه. فالمعاصي علي قسمين: قسم يخرج العاصي عن الخير و يجره الي الشر كشارب الخمر و تارك الصلاه و من يلقي بنفسه الي التهلكه فيظهر آثار هذه المعاصي علي قلبه و لا يمحو الا بارادة الله و لا يمحو الله الا بالتوبه و لا يتوب مثل هذه العاصون لغلبة الكفر و الضلاله علي قلوبهم. فلا يرجون رحمة ربهم ليتوبوا.

و قسم اخري من المعاصي يظلم به الناس كامثال الغيبه و الشتم و التهمه يضرب الناس و يسلب عنهم اموالهم او يقتلهم و امثال ذالك من المعاصي التي يظلم به الناس فيظهر آثار هذه المعاصي في قلوب المظلومين من الناس فيشكون الي ربهم فيجعلهم الله قادرا علي الانتقام فينتقمون من الظالمين. فالظالم ينقطع بظلمه و عصيانه طريقه الي الله تعالي و الي المظلومين و لايمكنه ان يرجع الي الله و الي المظلومين يطلب رضاهم فيفتح له باب من ابواب الجنه. فانك لا تجد معصية لا يظهر بها جراحة او اثر اخري في نفس الظالم لنفسه او نفس المظلوم. فهذه آثار العصيان في نفوس الانسان. و لابد من علاج هذه الآثارفي نفوس الظالم و المظلوم ليخرج العاصي عن عصيانه و المظلومون عن عداوة قلوبهم علي الظالم كما انه لابد من علاج الامراض و الجراحات التي في البدن و المزاج. فيظهر بالكفر و النفاق امراض روحي كما يظهر بالقتل و الضرب آثار و جراحات علي البدن و لو لم يعالج هذان الآثاريبقي في الدنيا و الآخره فيحرم المريض عن لذه السلم و السلامه، يقول الله تعالی: في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا و لهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون..[[47]](#footnote-48)

فهذه الامراض كلها آثار العصيان لا يذهب الا بالعلاج و لا يقدر احد ان يعالج الامراض الروحي الا الله تبارك و تعالي و لا يعالج الله الا بالتوبه و انما يحتاج علاج هذه الامراض بالتوبه لانه لا يقدر احد ان يذهب بآثار العصيان من القلب الا الله تعالي و لا يمكن لاحد ان يستفيض بفيض الله الا التائب. فالتائب يعرف ربه بالعلم و القدره علي كل شیئ و يعلم امراض نفسه ثم يعلم بانه لا يقدر احد ان يعالج هذه الامراض الا الله تعالي فيرجع الي ربه عارفا بقدرته فيسئله العلاج و العفو. و العفو بمعني محو آثار العصيان. فاذا ذهب عنه آثار العصيان فقد عفي عنه.

فهذا هو المقصر بعصيانه يحتاج الي العفو و التوبه.

و القسم الثاني من العصيان يعرف بالذنب. و المذنب من يعصي ربه بقصور لا بتقصير و القصور غير التقصير. فالتقصير يظهر بانك تعلم عملا ذا مصلحه و تقدر ان تعمل بعلمك فتنال المصلحه. او تعرف عملا ذا مفسده و تقدر ان تترك هذا العمل فتنجو من المفسده و مع ذالك تترك الصلاح و تعمل الفساد فتحرم من نعم الله تعالي و تعذب بعذابه. فتكون عاص لربك يظهر في وجودك و في جامعتك آثار المعصيه. تمرض و تسقم في بدنك، تبتلي بفساد معصيتك و فساد ظلمك في الجامعه، يعدونك بما نالوا منك ظلما، يناَون عنك و يَدَعونك وحيدا فريدا بما يرونك محروما من لطف الله و نعمه و لا يعالج هذه الخسران الا الله تعالي، و هو لا يعالج هذه الخساره الا بالتوبه. فيظهر هذه الاثار بتقصير المقصرين لانهم علموا العمل الصالح النافع و كانوا يقدرون ان يعملوا بعلمهم فتركوه متجرئين علي الله تعالي عاصين فتركهم في جهالتهم فعذبو ا باعمال السيئه و ترك اعمال الحسنه.

و اما الذنب فهي عمل بالقصور كما ان العصيان عمل بالتقصير. و القصور كعمل الصبيان، لا يعلمون الفساد و الصلاح في اعمالهم فيعملون و لم يقدروا ان يتركو الاعمال ذا فساد او يعملوا الاعمال ذا صلاح. فعملوا السيئات بقصورهم لانهم لم يعلموا فيتركوا. غَلَب جهلُهم علي علمهم يتركوا الاعمال ذا صلاح بجهلهم او ضعف استعدادهم بغلبة الفاسقين و هم ذو سنين، او يعملون المحرمات بضعف عقلهم و استعدادهم و هم يعلمون ان الله نهاهم عن ذالك. فاُبتلوا بالفساد بفعل المحرمات و المحروميه عما به صلاحهم بترك الواجبات. فهم المستضعفون كما وصفهم الله في كتابه: الا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان الذين لا يستطيعون حيله و لا يهتدون سبيلا...[[48]](#footnote-49)

فاخبر عن قلة قدرتهم بقوله: لا يستطيعون سبيلا، و ضعف علمهم بقوله: لا يهتدون سبيلا. فوعدهم الله وعدا بلطفه و كرمه بقوله: عسي ان يعفو عنهم و كان الله عفوّا غفورا...

فمثل هذه الذنوب انما يقع بالقصور لا بالتقصير و يبتلي الانبياء بالقصور و لا يبتلون بالتقصير فيجوز لنبي ان يذنب و لا يجوز له ان يعصي الا ان يكون العصيان بمعني الذنب اي ترك العمل الصالح او فعل القبيح بقصور لا بتقصير. و يسمي في مقالات الفقهاء بترك اولي، كما يقول الله تعالی: و عصي آدم ربه فغوي..[[49]](#footnote-50) ثم يحكي عن العصيان بقوله: فوسوس لهما الشيطان و قاسمهما اني لكما لمن الناصحين..[[50]](#footnote-51). فوسوس اليه الشيطان و زين له الاكل من الشجره فغرب عن آدم عقله بهذه الوسوسة بهذه القسم لِما اَقسم بالله العظيم: انه لمن الناصحين. فاكلا من الشجره بقصورهم لا بتقصيرهم ثم تابا بعد ذالك فتاب الله عليهما كما يقول: انما التوبة علي الله للذين يعملون السوء بجهاله ثم يتوبون من قريب...[[51]](#footnote-52)

فمثل هذه الاعمال يسمي ذنبا و لا يسمي عصيانا و عامله قاصرا يحتاج الي غفران و لذالك ينسب الله الذنب الي الانبياء و لا يتهمهم بالعصيان كما يخاطب الله نبيه يقول:[[52]](#footnote-53) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تاخر... و الذنب يحتاج الي الغفران كما ان العصيان يحتاج الي العفو، و العفو بمعني محو الاثر. فمن يعصي ربه عالما متعمدا يظهر من هذه المعصيه اثر في قلبه و هي نكتة سوداء يَنأی به عن ذكر ربه، يحتاج الي محو هذه النكته ليرجع بقلبه الي ذكر الله. و العفو بمعني المحو. فاذا تاب الي ربه يمحو الله هذه النكتة من قلبه. ولكنّ الذنب هو عصيان الانسان عن القصور و الجهل بالمعصيه. يعصي عن جهل، او عن ضعف علي ترك المعصيه، كلعب الصبيان. يعصون و لا يدرون و لا ينوون المعصيه. فلا يظهر في قلبه نكتة سوداء يحتاج الي محو هده النكته كعمل الجهال لا يستطيعون ضربا في الارض، يصفهم الله تعالی بالمستضعفين لضعف عقلهم او لضعف قواهم علي تركه. فلا يظهر في قلب العامل بهذه العمل نكتة سوداء يحتاج الي عفو.

فمثل هؤلاء يستغفرون الله و يحتاجون الي الغفران بمعني ظهور العلم و القدره في قلوبهم يستطيعون بها علي ترك العصيان و يجوز علي الانبياء الذنب و لا يجوز عليهم العصيان تقصر بعض الانبياء عن فهم ما هو فوق استعدادهم و قواهم و لا يعصون بعد الفهم و هذا كنوح النبي علیه السلام كانه يتهم الله بخلف الوعده يقول: انّ ابني من اهلي و ان وعدك الحق..[[53]](#footnote-54) فيجيبه: انه ليس من اهلك فلا تسئلن ما ليس لك به علم.. و يَحنّ علي ولده مع انه كافر كساير الكافرين. فينشاء سؤاله عن قصور فهمه لا عن تقصيره.

فانّ السؤال بمعني التعلم محبوب عند الله يقول: فاسئلوا هل الذكر ان كنتم لا تعلمون..[[54]](#footnote-55) ولكن هذه السؤال(کسؤال نوح علیه السلام )بمعني الاعتراض. كاَنّ السائل يجعل الفاعل مسئولا بفعله. او كما يسئل موسي الخضر يجعله مسئولا بخرق السفينه، يقول: أخرقتها لتغرق اهلها؟ او يقول: قتلت نفسا زکیة بغير نفس؟ فيجيبه الخضر: هذا فراق بيني و بينك..[[55]](#footnote-56)

فليس هذه السؤالات بمعني طلب العلم بل هي الايراد و الاعتراض. فهي قصور عن النوح او موسي علیهما السلام، يجوز علي الانبياء مثل هذه السؤالات. و لعله لو كان الامر بيد نوح و كان قادرا علي ان ياخذ بيد ابنه يجره الي السفينه لفعل ذالك علي خلاف مشيه الله. فسئل و قال: ان ابني من اهلي.. فكل هذه السؤالات و الاعمال اللتي تتبعها قصور عن الانبياء بمعني ترك الاولي، يسمي ذنبا، يستغفرون ربهم بعد ما علموه فيغفر الله لهم.

و الغفران بمعني ايجاد علم و قدره في وجود الفاعل. يقدر بعد ذالك علي ترك المعاصي و ما ينسب عليهم العصيان مثل ما يقول الله تعالی: و عصي آدم ربه فغوي.. فهي بمعني الذنب يظهر بقصور آدم لا بتقصيره.

فعلي هذه التحقيق هذه اللغات امثال التسبيح و التحميد و الاستغفار في هذه السوره يكون [[56]](#footnote-57)بمعناه العلمي و التكويني و ان كان يراد بمعناه الظاهري ايضا. ولكن هي بمعناه الظاهري اللفظي لا يشترط بشرط اَن يقول اذا جاء نصر الله فسبح بحمد ربك، و بمعناه العلمي يجوز ان يشترط بهذا الشرط لانه اذا فُتحت مكتبة الاسلام و دخلوا فيه افواجا و عرفوا ربهم يخشونه و يسبحونه. ان الانسان لا يسبّح ربه و لا يحمده الا بالعلم و العرفان. فاذا عرف ربه و خشيه يحمده و يعلم بعرفانه انه حميد في كل ما يريد و يفعل لانه لا يريد ما يريده سفها و عبثا الا ان يكون فيما يريده و يمنعه نفع لعباده، فَاَمرُهُ و منعُهَ عطاءٌ فيُحمد في عطائه و منعه. كما يقول مولانا علي ابن الحسين (ع )في دعائه يصف صحّته و مرضه و يشكر ربه في مرضه و صحته: فما اَدري ايّ الحالَين اَحَقّ بالشکر لك.. فيعرّفنا بذالك انّ من اَمرضه الله انعم عليه و من عافاه كذالك انعم عليه. ففي كل ما قدّره لعباده نفعٌ له، يجب علي الانسان في كل الحالات ان يشكر ربه، و الحميد من يكون محمودا في كل افعاله. و لا يُدرك محموديته تعالي في جميع الافعال؛ اَن يُحمَدَ في المنع كما يُحمدُ في العطاء، الا بالعلم و الحكمه.

ثم انه لا يستغفره احد بمعناه العلمي الا ان يجد نقائص وجوده و ينزّه ربَه قبال هذه النقائص عن كل ما يصف نفسه. فكل هذه الحالات انما يظهر بالعلم و العرفان. فمن عرف نقص وجوده و ما يتبعه من الافعال يتوب الي ربه، و من تاب الي ربه تاب الله اليه.

ثم اعلم بانّ للتّوبة معنيان: معنيً علميٌ و معنيً ذكري. فمعناه العلمي تقوم علي اربعه اركان، كلُّها علميٌ.

الاولي: كشف مرض الكفر و العصيان، اَن يعلمَ الكافر خطرات كفره و نفاقه و يعلم انه محجوب بكفره عن رحمة الله الواسعه و نعمه السابغه.

الثاني: ان يعرف ربه تعالي بانه طبيب قادر علي معالجة الكفر و الطغيان، و غيره لا يقدر و اِن كان اماما معصوما. و يعلم انه هو الذي ينوّر قلب الانسان بنور الايمان و يحيي قلب الانسان بروح الايمان. فينتقل بهذا الروح من الكفر الي الايمان و يتحول بحيوة الايمانيه من النقص الي الكمال. و الثالث: يلجاء الي ربه من وحشة مرض الكفر و العصيان و يعرف نفسه بانه شيطان يامره بالسوء و الفحشاء فيّهلكه بهذه الاوامر و النواهي. لان النفس باقتضاء ذاتها يَسرع بالانسان الي الكفر و يُبطئه عن الاطاعة و الايمان. فيَعرف التائب نفسه بانه اَعدي عدوّه فيعوذ الي الله من شر نفسه كما يعوذ الهارب من الذئب و يعلم ان الله تعالي حصنٌ حصين.

و الرابع من شرايط التوبه ان يطلب منه تعالي علاج كفره و نجاته من شر نفسه.

فبهذه الشرائط يقوم التوبه و يعالجه الله من هذه الامراض و يشفيه بشفاء روح الايمان و آي القرآن كما يقول: و نُنزّل من القرآن ما هو شفاء و رحمه للمؤمنين..[[57]](#footnote-58)

فتعلم بان هذه الشرائط علميٌ يتبّعه الاعمال، و العلم مقدم علي العمل و العمل يتبع العلم. فقيل العالم بلا عمل كالشجر بلا ثمر و العامل بلا علم كالحمار الطاحونه. فمن عرف نفسه بانه اعدي عدوه و عرف امراضه النفسانيه و عرف الله بانه الطبيب المعالج فقط، ففرّ من شر نفسه الي ربه و دعا ربه ان يفيض عليه من رحمته الواسعه فيحوّله من الكفر الي الايمان، فقد ظهر منه التوبه. فلا يمكن بعد ذالك ان يرجع الي الكفر و العصيان.

فعلمت بذالك ان التوبه و الاستغفار و التسبيح و التحميد كلها حقايق علمي يحصل للانسان في السلوك الي الله نعالي. فالتسبيح بمعناه العلمي ان تَنزّه ربك عن مشابهة الجسمانيات و ملائمه الكيفيات و الكمّيات. و التحميد بمعناه العلمي ان تعرف حكمة الله في كل ما يفعل او يقول. فتعلم ان كل ما اراد يكون فيه مصلحة يُصلح بها نفسك، يُنجيك بها من الكفر و العصيان الي التوبه و الايمان فتعلم بذالك انه محمود بجميع الاعمال و الافعال فتحمده في كل شیئ مما قدّر لك من فقر و غناء. و الاستغفار بمعناه العلمي و التكاملي ان تعرف نقائص وجودك فتسئل ربك ان يرفع النقائص و يرتقي بك الي الكمالات. و التوبه بمعناه العلمي هي العلم بهذه المسائل الاربعه.

فعلي ذالك يكون للناس يومان: يوم يعلمون في انفسهم كفرهم و ايمانهم و نقائص وجودهم عن المعارف اللازمة لهم. ثم ياتي لهم يوم اخري يُرجعون فيه الي الله فيرتفعون كمالا عن نقائصم فيرجعون بفضائلهم الي الله.

فاليوم الاولي هي الحيوة الدنيا و هي يوم الورود و الدخول في دين الله. يوم الالتجاء و الاستعاذه و اليوم الثاني و هي الحياة الآخره، يوم الرجوع اليه تعالي بالتكامل و التعلم، كما يقول: هو الذي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون..[[58]](#footnote-59) يخبر بذالك ان رجوعكم الي الله تعالي انما هي بعد حيوتكم عن موتكم. فلذالك تري جعل الله في هذه السوره التسبيح و التحميد و الاستغفار جزاء لشرطٍ و هو ظهور النصر و الفتح و الدخول في دين الله افواجا. فهي معني الواقعي للشرط و الجزاء في هذه السوره الشريفه؛ سوره النصر.

**الحمد لله‌ اولا و آخرا و انا العبد محمد علي صالح غفاري**

G25

**ب****ِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم**

**\*\*\*\*\*\*\*\*\*\***

اذا جاء نصر الله و الفتح و رايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا

خداوند تبارک و تعالی در این سوره خبر ظهور فتح و نصر برای پیامبر و دینش را اعلام می نماید. این سوره به علت آمدن دوکلمه فتح و نصر در آن، گاهی سوره فتح و گاهی سوره نصر نامیده شده است. این سوره پس ار آنکه خدوند متعال ام القری را به دست رسول اکرم فتح نموده و آن پیروزی را فتح المبین نامید، نازل شده است. 1

و شاید این سوره از آنهائی باشد که در اواخر بر ایشان نازل شده و پس از آن فتح به دست ایشان تحقق پذیرفته و مردم دسته دسته به دین خدا درآمدند چنانکه می فرماید:

الايه، 1- اذا جاء نصر الله و الفتح

یعنی زمانی که نصر و فتح خداوند را مشاهده نمودی و مردم گروه گروه به دین خدا درآمدند، پس وی را تسبیح و حمد نما و از او طلب مغفرت نما که او توبه پذیر است. (به انسانی که طلب کمال نماید رو مینماید.)

لطائف علمی این سوره فراوان است. از جمله آنها ظهور نصر و فتح که کی بوده یا کی خواهد بود و اشتغال به تسبیح و حمد خداوند و استغفار پس از ظهور فتح و ورود مردمان به دین خدا به صورت گروه گروه است.

پس می پرسیم این فتح کی خواهد بود و چه زمانی آن فتح کلی جهانی که فتح اکبر نامیده شده و بر اثر آن معنای این سوره به صورت تمام و کمال بروز میکند تحقق خواهد یافت؟ در این جهان، همه چیز به خصوص پدیده های طبیعی و دینی در مقیاس کوچک ظاهر شده و سپس رشد کرده و به حد کمال میرسد. بنا بر این، فتح به دست حضرت رسول(ص) در مقیاس کوچک شروع شده و به حد کمال خود که فتح جهان ها و فتح بزرگ باشد، می رسد.2

1-آیه 1 2-

پس این سوره ظاهرا پس از فتح مکه و بعد از سوره فتح نازل شد و به پیامبرش خبر داد که به زودی مکه ام القرا به دست ایشان فتح خواهد شد و آن پیروزی را فتح المبین نامید. و ایه: انا فتحنا لك فتحا مبينا... را نازل فرمود.

پس پیامبر اکرم (ص) در رویا مشاهده فرمودند که در حالیکه حلق و تقصیر بجا آورده اند وارد مکه میشوند3. بانا بر این به اصحاب خود اعلام فرمودند که با پوشیدن لباس احرام وارد مکه شده و سعی و طواف را بجا خواهند آورد بنا بر این با عده ای از اصحاب به سوی مکه حرکت و قربانی هارا با خود حرکت دادند. هنگامی که قریش متوجه شدند که رسول خدا برای حج عمره به سوی مکه حرکت کرده، مانع ایشان شده و در مکانی بنام حدیبیه ایشان را متوقف نمودند و اجازه دخول به مکه را به ایشان ندادند.

بنا بر این در آن مکان، پیمان صلح حدیبیه بین دو طرف منعقد شد و رسول خدا (ص) مراجعت نموده منتظر سال آینده شدند تا در آن سال حج بجا آورند.بعد ها خداوند متعال به ایشان امر فرمودند که با لشکر خود بسوی مکه حرکت نماید و ایشان آن شهر را فتح کردند.

باید دانسته شود که فتح مکه یکی از بزرگترین فتوحات تاریخ بشر بوده و تا آن زمان مثل آن هرگز به دست پادشاه یا پیامبری انجام نشده بود. همانا مکه حرم امن الهی بوده و آن را در روز "دحوالارض" حرم خود قرار داده و مهم ترین شهر بود. لذا هرکس آنرا فتح و بر اهلش غلبه مینمود در واقع مثل این بود که بر خداوند غلبه نموده و پادشاهی خداوند را در اختیار گرفته است. پس هیچ شهری را نمی بینی مگر اینکه در دست های جباران دست یه دست میشده و هر زمان جباری بر آن تسلط یافته و سپس آنرا به جباری دیگر می سپرده است.

در واقع شهر ها و روستا ها مانند طلا و نقره هستند که در دست های این و آن قرار میگیرند و گاهی در دست این و زمانی در دست آن بوده اند. پس هیچ شهری روی زمین وجود ندارد که از زمان تاسیس تا نابودی در یک وضعیت ثابت قرار گرفته باشد. همه شهر ها در معرض نابودی به دست جباران و یا به اراده خداوند، خرابی بر اثر زلزله یا سیل قرار داشته اند. پس همان طور که آدمها دارای عمر خاصی هستند که از تولد ایشان شروع شده و به مرگشان خاتمه می یابد، شهر های روی زمین نیز همین حالت را دارند که روزی متولد شده و روزی می میرند. شاعری گفته است: فرزند بیاورید برای مردن و بنا کنید برای خراب شدن.

بنابر این هیچ شهری از بدو تولد تا نابودی به یک حالت نمیماند بلکه خداوند متعال برای هر حکومت و کشوری و برای هر شهری و مردم آن اجلی تعیین فرموده چنانکه میفرماید:

و لکل امه اجل فاذا جاا اجلها لا یستقدمون ساعه و لا یستاخرون4

بنابراین عمر شهر ها چه بر اثر نابودی اهلش یا جنگ یا سیل یا زلزله یا جنگ داخلی یا برخورد پادشاهی با پادشاه دیگر روزی به پایان میرسد اما اگر شهری را بخواهی بشناسی که ولادت آن بر همه شهرها تقدم داشته و تا زمانیکه خدا بخواهد دوام آن بیش از همه شهرها خواهد بود و حوادث ناگواری که باعث نابودی آن شوندار برایش اتفاق نمی افتد و بین قدرتمندان و جباران دست به دست نمیشود، آن شهر همانا این بلدالله الامین و کعبه معظمه به خاطر اصالتش وحفاظت روستاهای اطرافش است. کعب به معنی اصل بوده و به فارسی پایه و ریشه است و در عربی کعب الشیء به معنی اصل و محل تکیه یک چیز بوده و کعب هر چیز مرکر ثقل آن است که نه به طرفی کشیده میشود و نه میکشد، همه به طرف آن میروند و آن به طرف چیزی نمیرود و به همین جهت است که پیای انسان و مرکز ثقل اورا که بر آن تکیه دارد کعب نامیده اند و خداوند میفرماید:........... و امسحوا برئوسكم و ارجلكم الي الكعبين...[[59]](#footnote-60)

و این دوکعب که در آیه آمده انتهای انگشتان پا هستند که از آنجا به ساق پا متصل میشوند. بنا براین علت اینکه کعبه را کعبه نامیده اند آنست که آن بنا مرکز ثقل شهرها است و همه به طرف آن جذب میشوند ولی آن به هیچ طرفی جذب نمیشود بنابر این کانون روستاها و شهرها است. و به خاطر اصالت و تقدم در ایجاد و ساختش ام القری نامیده شده است. اولین بنائی بود که توسط حضرت آدم (ع) روی زمین بنا شد و گفته شده ایشان پس از اینکه بعد از توبه از بیابان ها به آنجا پناه آورد خداوند وی را در امنیت و سلامت قرار داد و برایش در محل این خانه چادری ایجاد نمود و به او دستور داد زیربنای خانه را بسازد و حجرالاسود را در ان نصب نمود. میگویند که ان سنگ سفیدی از سنگ های بهشت بوده و بعدا بر اثر لمس دائمیش توسط مردم رنگش سیاه شده است. پس اولین خانه ای بوده که برای مردم ساخته شده و خداوند میفرماید: مبارکا و هدی للعالمین.

سپس مردم از روی این خانه فهمیدند که خانه های خود را چگونه بسازند. سپس تعداد خانه های دور آن زیاد شد و آن محل تبدیل به یک روستا وبعد شهر و نهایتا یک کشور شد. پس ازاین نظر آن شهر که موجب ایجاد شهرهای متعدد به وضع فعلی بوده، ام القری نامیده شده. شهر ها از خانه ها تشکیل میشوند و زمانی با قیام امام زمان (عج) کل زمین از نظر مالکیت و حکومت تبدیل به شهری واحد میشود. بنابراین، این خانه نیز همان گونه که خداوند متعال آن را وصف نموده است، ام البیوت میباشد

بنا براین، کعبه مادر بناها و مادر شهرها است و ام بهمعنای اصلی است که فروع از آن زاده میشوند و مادر هم برای این مادر نامیده شده که همان طور که مشاهده میشود در تولید فرزند و مورد رجوع بودنش در حیات وی اصالت دارد. پس این خانه را حضرت آدم (ع) به وحی خداوند بنا نمود و از بنای آن، بنای خانه ها و شهر ها ریشه گرفت و نمونه ای برای سایر خانه ها که از حوادث به آن پناه برده میشود واقع شد. کسی که حج بجا آورد از حوادث کفر و عصیان در امان میماند و تا ورود به بهشت در دینش در امان میماند. ترسیده ها به آن پناه می آورند و از شر درندگان و ظالمین در امان میمانند. از آن چا که حالت کعب و دو پای بشر را که بدن ها و شهرها در حرکت تکاملیشان بر روی آن حرکی میکنند را دارد، نامش کعبه تعیین شده است و آنرا ام قرار دادند زیرا قریه ها و شهرها از آن زاده شدند و مرجع اهل عالم است که به آن پناه میبرند و دوستش دارند.

و در وجه تسمیه آن در تفاسیر آمده است که علت ام آلقری نامیده شدنش آنست که سایر قطعات زمین از زیر آن توسعه پیدا کرده است ) و ظاهر این تفاسیر دال بر آن است که زمین مکه اولین قطعه ای بوده که خداوند آفریده و سایر قطعات از زیر آن خارج شده اند. پس حتی اگر امثال این روایات دال بر این باشد که زمین مکه اولین بخشی بوده که به اراده خداوند رشد نموده، ولی با چکونگی خلقت زمین سازگاری ندارد. میتوان گفت که اول بودن خلقت زمین مکه اولویت رتبی است زیرا در نزد خداوند محبوب ترین زمین ها بوده و سایر زمین ها به خاطر آن آفریده شده اند. مانند اول بودن میوه نسبت به درخت در علم خداوند متعال. پس اگر در مورد اولین بخش درخت که آفریده شده سوال شود، دو جواب ممکن است داده شود: یکی بر اساس اول بودن در علم حکیم و دیگری بر اساس اول بودن در آفرینش. در علم خداوند حکیم، میوه بر درخت مقدم است ولی در ظهور، درخت و رشد آن اولویت دارد. در مورد زمین هم همینطور است. زمین در اصل به صورت کروی خلق و از بذر خود که مرکزش را تشکیل میدهد و ثری نامیده میشود، روئیده است. پس بنائ زمین بر اساس آن روئیده و کامل میشود و سپس کوه ها بر آن میرویند.

بنابراین زمین از ظاهر به باطن آفریده نشده بلکه مانند سائر اشیاء ,الم از باطن به ظاهر آفریده شده است. پس هیچ مخلوقی را نمی بینی مگر اینکه در اندازه ای خرد از باطنش که مرکز ثقل آن است آغاز شده و سپس بر اساس آن مرکز رشد نموده و بزرگ میشود. پس اولین بخش انسان که آفریده شده و سائر اعضا بر گرد آن میرویند، قلب اوست. صنائع الهی مانند صنایع بشری همچون ساختمان ها و خودروها که ابتدا ظاهر آنها ساخته شده و سپس به باطنشان پرداخته میشود نیستند. این کوه ها هستند که بر سطح زمین میرویند و نه زمین که از زیر کوه ها بروید. مانند سینه زنها است که بر بدنشان میروید.

گفته میشود که مکان مکه اولین مکان در علم خدا و آخرین آن در آفرینش زمین بوده است. درست همانند اولویت رسول اکرم (ص) بر سائر انبیا. از ایشان سئوال شد: چگونه بر انبای تقدم داری در حالیکه آخرین آنان هستی؟ ایشان پاسخ دادند: در مرحله اقرار بر آنان سبقت گرفتم10. پس معلو میشود که اولویت ایشان اولویت رتبی در علم خداوند است و در مرتبه خلقت و ظهور، آخرین هستند.

بدین ترتیب خداوند در مکنون علم خود میدانست که سرزمین مکه محل هجرت ابراهیم و ظهور اسماعیل و ظهور محمد (ص) و ائمه از صلب وی که صلوات خداوند بر همه آنان باد میباشد بنابراین، آنرا اول قرار داد. همان طور که سرزمین کربلا را که محل شهادت و دفن حضرت اباعبدالله الحسین (ع) است و مردم برای زیارت به آن روی می آورند و از شهادت ایشان هدایت می یابند شرافت بخشید. بنابراین همه این تقدم ها رتبی است و با اولویت وقوعی فرق دارد.

بنا براین، خانه خدا در علم خدا اولین زا نظر مکانی و اولین در ساخت است زیرا اولین خانه ای است که برای مردم تعیین شده و سائر خانه ها و شهرها در ساخت از آن متابعت کرده اند و در نتیجه ام القری نامیده شده است در صورتی که اگر اولین قطعه خلق شده زمین میبود، مناسب بود که ام الارض نامیده شود.

پس خداوند متعال این خانه را حرم امن و مرکز ظهور علم و قدرت خود و نیز اولیئ کامل خود وماوای انبیائ و بندگان مومن خود قرار داد. به همین دلیل بود که حضرت ابراهیم از خدامند درخواست سرزمین امنی را نمود که همسرش هاجر و فرزندش اسماعیل را در آن مأوا دهد پس جای امنی بجز حرم خداوند را مناسب نیافت و گفت: من ذریه خود را در سرزمینی غیر قابل کشت در نزد خانه تکریم شده تو سکونت دادم.

پس در علم ابراهیم مکان امنی بجز مکه برای سکونت فرزندش وجود نداشت و همین دلیل بر این است که حرم خدا قبل از ابراهیم وجود داشته نه پس از ظهور ایشان و ایشان بیت الله را بنا نکرده اند بلکه پیش از آن به دست حضرت آدم بنا شده بوده و ایشان پایه های آنرا بالا برده اند چنان که در باره آن آمده است: "و زمانیکه ابراهیم پایه های خانه را به همراه اسماعیل بالا می برد.."12. اگر ابراهیم کسی بود که خانه را بنا کرده بود و قبل از او سابقه ای نداشت خداوند باید میفرمود: "هنگامی که ابراهیم خانه را بنا کرد"

و حضرت ابراهیم میفرماید: "پروردگارا من ذریه خودرا در سرزمینی بدون کشت و زرع در نزد خانه مکرم تو سکونت دادم" بر اساس روایات، اولین کسی که خانه خدارا بنا نمود حضرت آدم بود و همان جا مکان بهشتی بود که آدم و همسرش در آن آفریده شدند و جبرئیل برای آنها خیمه ای با نور سبز برپا نمود بعدا حضرت آدم پس از قبولی توبه اش خانه را در مکان آن خیمه بنا نمود تا برای وی و فرزندانش یادمانی باشد. در شرح دعای ندبه بیان کردیم که مکان بهشتی که آدم و حوا در آن خلق شدند همین خانه است و خمسه طیبه در آن بودند و آدم و حوا برای ایشان آفریده شدند تا با اطاعت از ایشان به کمال برسند ولی نافرمانی کردند و آن بهشت تبدیل به یک بیابان شد ولی خداوند آن خانه را که محل سکونت پنج تن آل عبا بود، حفظ فرمود. این امر از فرمایش ایشان در زیارت جامعه.."خداوند با شما شروع میکند و با شما خاتمه می دهد.." و در سائر روایات نیز این مطلب تایید میشود.

پس خداوند آنرا حرم امنی قرار داده است که هیچ یک از سلاطین و جباران نمی توانند بر آن مسلط شوند و فقط رسول خدا (ص) چون اهل و مالک آن ان است بر آن حکم فرما شده است

اما بر سطح زمین شهر های بسیاری دیده میشود که بین جباران و سلاطین دست به دست شده و روزی در دست این و زمانی در دست آن است و هریک به نوبه خود زمانی بر آن حکومت میکنند و هیچ یک از آن شهرها در حفاظت خداوند نیستند که از سلطه آنان حفظ و نگهداریشان نماید فقط این حرم امن خداست که چنین خصوصیتی دارد و در طول تاریخ بالا رتبه ترین شهر بوده و اهل آن آزاد بوده اند. هیچ سلطان جابری به این شهر لشکر کشی ننموده مگر این که خداوند اورا مانند تبابعه یمن و پادشاهان حبشه از قبیل ابرهه پیش از این که به هدفشان برسند ذلیل فرموده است. ابرهه با سی هزار نفر به مکه لشکر کشید و خداوند با آنها آن کرد که کرد "..بر علیه آنان پرندگان ابابیل را فرستاد و آنان را مانند برگ جویده شده (نابود) نمود".

بدین ترتیب مکه حرم امن الهی است و بالا ترین شهر ها و حفاظت شده ترین آن ها و در حمایت خداوند است و برای هیچکس غلبه بر سلطنت خداوند ممکن نیست. اهل مکه بدین منوال در زندگی خود ایمن و بهره مند بودند و هیچ جباری بر آنان مسلط نشد تا بتواند ذلیلشان نماید و بر آنان حکومت نماید بجز حوادثی که پیش می آمد و بر اثر آن برخی از آنان بر برخی دیگر حاکمیت یافته و غلبه مینمودند. اهل مکه نمیدانستند که این امنیت به برکت آن خانه است چنانجه خداوند میفرماید: " ..پس باید پروردگار این خانه را عبادت کنند که آنان را با اطعام از گرسنگی رهانید و در برابر بیم ها امنیت بخشید"17. پس در برابر دعوت حضرت رسول (ص) از آنان به سوی خدا مخالفت ورزیدند و کردند آنچه کردند از اذیت و نافرمانی و سرکشی تا جائیکه اورا از شهر ایمن مکه اخراج نمودند در حالی که وی براساس رسالت و عظمت خود اهل بیت خدا بود و نفهمیدند اگر خانه اهل نداشته باشد برایشان سودی نخواهد داشت. ارزش خانه به اهل ان است بنابراین بر آنان واجب بود که وی را بزرگ داشته و بدین وسیله حرم امن خدا را بزرگ دارند. اورا از آنجا راندند و خداوند در تعریض به آنان فرمود: گ..و اخراج اهلش از آنجا مهمتر است.." به گوششان رساند که اخراج اهل بیت از بیت بزرگترین گناه است و خانه خدائی که اهل آن در آن نباشند سودی نخواهد رساند و این آیه را نازل فرمود: " به این شهر قسم نمی خورم رد حالی که تو در آن ساکنی" و اگر تو و اهل بیتت در آن نباشید این شهر شهری نخاهد بود که خداوند به آن قسم بخورد. وقتی وی را به مدینه راندند خداوند آن شهر را حرم قرار داد و با لشکریانش از آن حمایت نمود تا وقتی که مکه را فتح نمودند و این فتح، فتح المبین و فتح عظیم نامیده شد نامیده شد زیرا وی شهری را فتحنموده بود که هیچ یک از ملوک در طول تاریخ نتوانسته بودند آن را فتح نمایند ولی خداوند به رسولش اجازه این کار را اعطائ فرمود زیرا وی اهل بیت و مالک آن بود و خداوند برای او و اهلش در خانه اش آنجه را که برای دیگران حلال نبود حلال فرموده بود بنابر این رسول خدا آن شهر را فتحی عظیم و مبین نمود که سابقه نداشت.

و برای اینکه بدانی که آنها که سلام خداوند بر آنان باد اهل خانه و مالک آن هستند، برای آنان آنچه برغیر آنان حرام شده حلال است، نگاهی به حدیث "سدالابواب بنیداز20. راویان بطور متواتر آورده اند که هنگامی که رسول خدا (ص) وارد مدینه شدند، برای خدا مسجدی بنا نمودند که امروز مسجدالرسول نامیده میشود و اصحاب بر گرد آن خانه هائی برای خود ساختند که در های آن بخ مسجد باز میشد و هر وقت می خواستند وارد شده و در آن می خوابیدند. به همین ترتیب رسول خدا و اهل بیت وی (ع) نیز خانه خود را ساخته و در های آنرا به مسجد باز نمودند و همه وارد مسجد میشدند و چه بسا جنب بودند. جبرئیل بر رسول خدا (ص) نازل شد و عرض کرد خداوند به تو دستور می دهد همه در هائی را که به مسجد باز میشود بجز درب خانه خود وعلی و فاطمه و حسن و حسین (ع) را ببندی. رسول خدا نیز به مردم امر نمود همه در ها بجز درب خانه خود و اهل بیتش به مسجد را مسدود نمایند. پس مردم در این تبعیض باهم به نجزا پرداختند و گفتند آدچه را که گفتند و گفتند: ای رسول خدا، به ما دستور می دهی همه درب ها بجز درب خانه اهل بیت خودت به مسجد را مسدود نمائیم؟ و یک نفردرخواست نمود از خانه اش سوراخی به مسجد باز بماند و گفت: دوس می دارم نماز خواندن تو در مسجد را تماشا نمایم. حضرت درخاست وی را رد نمودند و خطبه ای ایراد فرمودند و گفتند: خداوند به من دستور داده درب های خانه شمارا مسدود و درب خانه اورا باز بگذارم و خانه طاهری بسازم که غیر از من و برادرم و دو پسرش کسی در آن سکنی نگزیند. برای علی آنچه برای من حلال است حلال شده و برای من ینز آنچه برای دیگران حلال نیست، حلال شده. پس برای غیر رسول خدا (ص) و کسی اجازه ندارد وارد مسجد شده و مثل این که خانه خودش است در حالت جنابت در آن بخوابد و فقط رسول خدا و علی و فرزندانش از ائمه معصومین این حق را دارند. هر خانه ای حریم و اهلی دارد که در آن برای آنان آنچه برای دیگران مجاز نیست، مجاز است. پس این عده که سلام خداوند بر آنان باد، اهل خانه های خداوند هستند و خداوند به ایشان اجازه آنچه را که به دیگران نداده است، اعطا فرموده است زیرا ایشان از رجس و دنس تطهیر شده اند.

معلوم است که این تطهیر غیر از تطهیر معمول از نجاسات است زیرا همه مسلمین مکلف یودند مساجد را از نجاسات تطهیر نمایند و وظیفه داشتند در حال آلودگی به نجاست و پلیدی وارد مسجد نشوند بنا بر این اگر منظور این گونه طهارت بود، همه مسلمانان طاهر بودند. پس معین فرمایش ایشان که خداوند مرا مامور نموده خانه ای طاهر بنا نمایم چیست؟ معلو میشود این طهارت غیر از طهارت معمولی از نجاسات بوده بلکه منظور طهارتی باطنی از هر گونه ناپاکی و رجس بوده است چنانجه در قرآن آمده است: "همانا خداوند میخواهد شمارا از رجس پاکیزه نماید و طهارتی کامل به شما عطا نماید"21. پس خداوند متعال اهل بیت را طهارتی عطا نموده که به غیر ایشان عطا نشده است.

و دلیل اینکه ایشان اهل بیوت الهی هستند آیه شریفه: "از تو در باره جنگ در ماه های حرام سوال میکنند، بگو جنگ در این ماه ها (گناه) بزرگی است ولی باز داشتن دیگران از ورود به مسجدالحرام و کفر به آن و اخراج اهل آن از آن (گناه) بزرگ تری است.22. پس خبر داده که رسول خدا(ص) اهل مسجدالحرام است و آن مردم اهل مسجد را از مسجد اخراج نموده اند و خداوند متعال محل تولد علی (ع) را در مسجدالحرام قرار داد تا مردم بدانند که وی اهل مسجد است و برایش آنچه برای دیگران حرام شده حلال است. آن ها اهل خانه های خدا هستند و به ایشان و پیروانشان اجازه داده شده انرا اگر در دست مشرکین باشد، فتح نمایند.

بعد از اینکه رسول خدا (ص) به مدینه مهاجرت نمودند، خانه خدا در دست مشرکین بود لذا خداوند به ایشان اجازه داد خانه اش را فتح نماید و فرمود: "همانا ما برای تو فتحی مبین انجام دادیم.."

این فتح، هر چند فتح یک شهر بوده، ولی در واقع فتح کل زمین به شمار می آید و شاید در طول تاریخ فتوحات وسیعتری همانند فتوحات کورش و اسکندر مقدونی و خلفائ بعد از حضرت رسول صورت گرفته باشد که در طی آنها ایشان سرزمین های وسیعی را فتح نمودند ولی فتح مکه از نظر کیفی فتحی عظیم به شمار می آید رسول اکرم (ص) این شهر عظیم را فتح و به وسیله آن در واقع همه شهر ها را فتح نمودند تا دینشان را تکمیل نموده و علی رغم کراهت مشرکین بر همه ادیان غلبه دهد.

بدین ترتیب این فتح حرم خدا بزرگترین فتح بود و هیچ کس دیگری مجاز نبود که حرم خدا را فتح بماید مگر اینکه اهل الله باشد. پس رسول خدا این فتح را با قدرت بدنی یا زیادی لشکر خود انجام نداد بلکه آنرا با قدرت ایمان واخلاص خود برای خداوند متعال انجام داده و خداوند ایشان را اهل بیت خود قرار داد.

و خداوند در این سوره خبر میدهد که این فتح پیش از اینکه فتح بدن ها و شهرها باشد، فتح قلب ها بوده و می فرماید:".اذا جائ نصر الله و الفتح" و در این آیه کلمه نصر را همراه فتح می آورد تا بنماید که چنین فتحی جز با نصر و یاری خداوند برای احدی ممکن نیست.

سپس خداوند تعالی به ایشان امر مینماید که پس از این فتح و ورود گروه گروه مردم به دین خداوند، وی را تسبیح گفته و استغفار نماید. در آیات 2 تا آخر سوره میفرماید: "فسبح بحمد ربک واستغفره انه کان توابا"

در جملاتی که خداوند در این جا ردیف می فرماید لطائف فراوان و عمیق و جلیلی وجود دارد که قابل شمارش نیست. یکی این که خداوند برای رسول خود شرائطی گذاشته و فرموده وقتی چنین و چنان شد، سپس تسبیح و حمد خداوند را بجای آر و از او استغفار نما زیرا همانا او تواب است، در حالی که تسبیح و استغفار از واجبات مطلقه است و هرگز مقید و مشروط نمی باشد و در هر حال بر انشان و بخصوص انبیا واجب است و آمده است که یاد خدا در هر حالی نیکو است و در عین حال ذکر خدا و حمد او بجز با تسبیح تحقق نمی یابد و آنها به هیچ قیدی مقید نیست در حالی که خداوند در این سوره آنرا به فتح و دخول گروه کروه مردم به دین خدا مقید نموده است.

پس از ترتیب این مطالب و آمدن برخی از آن ها پس از برخی دیگر کشف می شود که رسول خدا و کسانی از ائمه معصومین که جای او را میگیرند دارای حالاتی شخصی هستند که قائم به خودشان است خواه کسی با آنها باشد یا نباشد. اینگونه تکالیف مقید به همراه بودن شخص یا شیئ با آنها نیستند مانند نماز و روزه و یاد خدا و تفکراتی که مربوط به خود آنها است و هکذا سائر تکالیف فردی و شخصی. بنا براین این حالت مقید به شخص یا چیزی نمیباشند و خداوند در این موارد با آیاتی چون: "الذین هم فی صلاتهم دائمون." 22 و "لا تلهیهم تجارت ولا بیع عن ذکرالله و اقام الصلوه " 24 توصیف می نماید.

و پس از آن آنان دارای حالاتی اجتماعی هستند که قوام آنها به وجود دیگرانی است و آنها این تکالیف را بر اساس اطاعت و تبعیت دیگران به پا میدارند مانند اقامه نماز جمعه و حکومت بر مردم، امر به معروف و نهی از منکر. پس این حالات و تکالیف به شرطی بر آنها است که دیگرانی نیز با آنها باشند. وقتی دیگرانی در کاکر است آنگاه است که امر به معروف مینمایند و وقتی شاگردانی وجود داشته باشند آنها آموزش میدهند و این تسبیحات که در این سوره آمده است گویا در مورد تکالیف اجتماعی ایشان است. زمانیکه شرط حضور داشته باشد، مشروط هم حضور دارد. خداوند به وی امر می فرماید که زمانی که دیدی مردم گروه گروه به دین خدا در می آیند، آنگاه آنان را در حوزه دینی خود گرد آور و به آنان تسبیح و تحمید و استغفار بیاموز.

شاید فکر کنی و بگوئی وقتی که مردم گروه گروه به دین خدا در آمدند و کارها به دست رسول خدا (ص) و اهل بیتش سپرده شد دیگر بر آنان و مردم تکلیفی در زمینه امر و نهی وجود ندارد زیرا دیگر دین خدا پذیرفته شده و آنها به اطاعت او در آمده اند و برای اهل زمین نظام طبیعی و انسانی و تمدن بشری حاصل شده است. خداوند متعال سایه فراگیر خود را بر سر آنها گسترانیده و رحمت و برکات خود را بر ایشان فرو میریزد و بعد از ظهور این نظام و تمدن و رفع شر و فساد، فرد فاسد و عاصی و کافری بر زمین نمی ماند پس این تکالیف وجهی ندارند. چرا که هدف همه تکالیف و قیام انبیا هدایت مردم و وارد نمودن آنان به دین خداست تا بر زمین شر و فسادی باقی نماند. همه مردم مانند مهاجرینی که به مقطد رسیده و وارد بهشت خود شده اند، وارد دین خدا شده اند. پس از آن دیگر تحرک و تکلیفی وجود ندارد و وقتی حرکتی نباشد، امر و نهیی نیز در کار نیست. همه این حرکات برای این است که مردم برای خداوند برخیزند و وارد ولایت خدا و ائمه معطومین (ع) شوند. پس وقتی واصل شدند باند بنشینند و بیاسایند چنان که خداوند می فرماید: "واعبد ربک حتی تاتیک الیقین" ( پروردگارت رت عبادت نما تا به یقین برسی) 25 و گفته می شود: حلال محمد (ص) تا روز قیامت حلال است و همچنین حرام وی، بنا بر این برایحرکت دینی ابتدا و انتهائی قائل شده اند. ابتدائ آن روز دعوت مردم به سوی خداوند و انتهای آن روز ورود مردم به دین خداست که آنهم یوم الدین است. همانطور که می فرماید: " و قاتلوهم حتی لا تکون فتنه و یکون الدین کله لله" 27 (و با آنها بجنگید تا دیگر فتنه ای در کار نباشد و کل دین از برای خداوند باشد)

پس بدین ترتیب دوره امر و نهی پس از دخول مردم به دین خدا به پایان میرسد پس چرا خداوند میفرماید پس از اینکه دیدی مردم گروه کروه به دین خدا در آمده اند تسبیح و حمد پروردگارت را بجای آر و استغفار نما که همانا وی توبه پذیراست؟ پس از ورود مردم به دین خدا و پذیرش ولایت وی دوره تسبیح و استغفار و نماز و زکوه و سائر عبادات به سر میرسد.

در جواب این اشکال میگوئیم که خداوند به رسولان خود امر فرمود که مردم را به دین خدا بخوانند و دین خدا همان ولایت او است و ولایت او مکتب او و مکتبش محل تفکر و تعلم و عروج بوسیمه تفکر و تعلم به سوی خداوند تعالی است. انبیائ مردم را به دین خدا میخوانند و از آنان قبول و تسلیم میطلبند///

و وقتی مردم دعوت را پذیرفته و به دین خدا درآمدند، حرکت تکاملی ایشان را آغازشده و انبیائ و ائمه آنان را به سوی کمال به سوی خداوند عروج میدهند. چنان که خداوند میفرماید: "تعرج الملائکه والروح الیه فی یوم کان مقداره خمسین الف سنه" (ملائکه و روح در روزی که مقدار آن پنجاه هزار سال است ب سوی او عروج مینمایند) 28. این روز، روز قیامت و روز قیامت روز دین و روز ورود به مقصد است. میبینیم که با حرکت تکاملی تا روز ورودشان به مقصد آغازمیشود که حوزه ولایت الله و اولیائش میباشد و خداوند آن روز را روز دین نامیده و فرموده: "مالک یوم الدین" (مالک روز دین) و میفرماید:

"و قاتلوهم حتی لا تکون فتنه و یکون الدین کله لله" (و با آنها بجنگید تا دیگر فتنه ای در کار نباشد و دین به طور کامل از برای خداوند باشد)29. پس روز قیامت روز دین است و روز دین روزی است که مردمان در آن روز به سوی خدا باز میگردند. این روز، اولین روز تسبیح و تحمید و استغفار است. خداوند میفرماید: "هوالذی خلقکم ثم یمیتکم ثم یحییکم ثم الیه ترجعون" (او کسی است که شمارا آفرید سپس میمیراند پس از آن زنده میکند و سپس به سوی وی رجوع میکنید) 30 و رجوع مردم به سوی خود را بعد از زنده شدن و مبعوث شدن از قبور اعلام مینماید. رجوع به سوی خداهم عبارت از حرکاتی تکاملی است که در طی آن نسبت به خداوند با تسبیح و استغفار شناخت پیدا میکنند تا به دروازه های لقائ الله برسند.

و به تعبیر دیگر، همانا دین خدا عبارت است از مکتب و مکتب، علم و علم، دین میباشد و خداوند متعال و اولیا و انبیائش و هر چیز دیگری از برای و بوسیله او یند و آنها همان کلماتند که جز از طریق علم دانسته نمی شوند و رجوع به سوی وی یعنی بازگشت علمی و حصول علم و معرفت. کسی که چیزی را ببیند و آنرا بشناسد، به سوی خدا سیر نموده ولی آنکه چیزی را ببیند ولی به آن علم نیابد، مانند کسی است که راه را ببیند ولی در آن سلوک نننماید. بجز از طریق علم، شناخت خداوند و رجوع به سوی وی تحقق نخواهد یافت. به همین شکل خداوند علما و جهال را تعریف نموده و میفرماید: " ..لهم قلوب لا یفقهون بها و لهم اعین لا یبصرون بها و لهم آذان لا یسمعون بها اولئک کالانعام بل هم اضل" (آنها قلبهائی دارند که بوسیله آن تفقه نمیکنند و چشم هائی دارند که بوسیله آن بصیرت نمی یابند و گوش هائی دارند که بوسیله آن نمی شنوند. آن ها همانند چارپایان بلکه گمراه تر هستند)..31. خداوند برای چارپایان ارزش حیوانیتی قائل است که آنها بوسیله آن زندگی میکنند ولی برای این کافران گمراه و گمراه کننده هیچ ارزشی که کسی به خاطر آن ایشان را بخواهد، قائل نیست بلکه آنان همچون درندگان وحشی وخسارت زننده اند و میفرماید: "..اینما ثقفو اخذو و قتلوا تقتیلا" (هرجا بمانند، به چنگ آورده شده و به قتل رسانده میشوند)32. در آن ها وامثالشان ذره ای خیر وجود ندارد. خداوند آنان را توبیخ نموده و در درجه ای پائینتر از جانوران درنده قرار میدهد. کسی که علم ندارد، دین هم ندارد و کسی که دین نداشته باشد، علم هم ندارد. دین و علم ملازم هم هستند و هر یک از آنها عین دیگری است. آیا هیچ پیامبر بدون علم و کتابی دیده شده است؟ پس کلیت دین بجز از راه علم برای مردم ظهور نمی یابد. نماز خوان کسی است که به نمازمعرفت داشته باشد و زکوه ده کسی است که به زکوه معرفت داشته باشد. سائر احکام و اخلاق و فضائل هم همین طور هستند. پس کسی که ذره ای علم و معرفت نداشته باشد از دین خارج میشود و اگر خودش بیرون نرود، خداوند وی را اخراج مینماید. و خداوند در کتاب خود وی را با آیات: "هواللذی اخرج المرعی فجعله غثائا احوی" معرفی میکند 33. در اینجا "مرعی" همین جهال هستند. چنین کسانی چراگاه ظالمین هستند و گرگان و سگان از آنان تغذیه نموده آنان را طعمه خود قرار میدهند و به سوی آتش جهنم میکشانند. خداوند میفرماید: "الم تر الی الذین بدلوا نعمت الله کفرا و احلوا قومهم دارالبوار.."34 (ایا ندیدی آنهائیرا که نعمت خدا را تبدیل به کفر نموده و مردم خودرا شایسته دیار هلاکت مینمایند؟)

بنا بر این علم و دین توام و ملازم یک دیگرند. خداوند به پیامبران امر فرمود که دین خدا و مکتب اورا به مردم بیاموزند پس هرکس دعوت آنان را اجابت نماید، داخل دین و مکتب او شده و کسی که نپذیرد، داخل نشده است. دخول به مکتب غیر از آموزش دیدن در آن است. هممه انبیا مردم را به دخول به مکتب دعوت نمودند ولی برایشان جلوس بر کرسی علم و مکتب آموزش دادن آنچه خداوند به ایشان آموخته بود به مردم ممکن نشد. به همین ترتیب رسول خدا (ص) نیز مردم را به دین خدا دعوت نمود و عده زیادی اورا اجابت نمودند ولی نتوانست آنچه را که خداوند به وی آموخته بود به ایشان بیاموزد و می فرمود: "از آنچه بعد از من به عترتم میرسد بسوی خداوند شکایت میکنم.."35. و عترت او اهل بیتش که عالمانی کامل بودند، بودند که نتوانستند خودرا به مردم معرفی نموده و آنانرا بسوی خود دعوت نمایند و کسی انان را نشناخت تا از آنها علم بیاموزد. خداوند آنان را به چاه آب ترک شده ای تشبیه نمو که کسی از آن ها آب بر نمیدارد و کاخ رفیعی که کیس در آن سکونت نگزیده و به ان پناه نمی برد36. و میبینی که حجت خدا امام دوازدهم از بین آن ها غائب شده در حالی که وی معدن علم وحکمت، ولی دین و وصی رسول خدا ی عالمیان است. از آنها غایب شده و می ترسد که خودرا به آنان معرفی نماید. جهل مردم علت ترس وی است. همه این ها دلیل آنست که اگر مردم دعوت خدا را اجابت نمایند و به لا اله الا الله قائل شوند داخل دین خدا شده اند در حالیکه بجز اندکی از آنان چیزی از وی نیاموخته اند. بنابراین دوران قبل از ظهور قائم دوران دعوت و اجابت- و نه دوران تعلیم و تعلم- است و دوران آموزش، دوران پس از ظهور قائم (عج) است.

میبینیم که خداوند متعال در این سوره از وجود دوحالت در مردم خبر داده که یکی از آنها شرط و دیگری جزای شرط است و میفرماید: "اذا جائ نصرالله و الفتح. ورایت الناس یدخلون فی دین الله افواجا فسبح بحمد ربک و استغفره انه کان توابا" (هنگامی که نصرت خدا و فتح او فرا رسد و مردم را ببینی که دسته دسته به دین خدا داخل میشوند. پس تسبیح و حمد خدا را بجای آر و از وی طلب غفران نما زیرا همانا او غفران بخش است). حالت اول دخول در دین و حالت دوم تسبیح و استغفار است.

باید دانست که این دو حالت در باره همه مردم از زمان هبوط آدم تا قیام قائم (ع) جاری میشود یعنی بر همه آنان واجب است که طوری داخل دین خدا شوند که هیچ خارج دینی باقی نماند. این حالت بر تک تک آنان از تولد تا مرگ و برای کل بشر از هبوط تا قیام جاری است. پس از آن بر و برای ایشان حالت دوم جاری میشود که حالت تسبیح و استغقار است و این اجتماع فقط با قتحی عظیم که اولین و آخرین را در بر گیرد تحقق می یابد. خداوند آن را فتح اکبر نامیده که همان فتح به دست امام دوازدهم (عچ) است و حضرت آنرا روز جمعه یعنی "روزی که کل مردم در آن جمع میشوند" 37 و "روز مشهود" 38 وصف نموده زیرا در تفسی ایام آلله از قول حضرت رسول (ص) آمده است: "با ایام دشمنی نکنید زیرا ماهم با شما دشمن خواهیم بود"39 و حضرت صادق (ع) میفرماید: " مائیم که ایام هستیم هرکس با ما در دنیا دشمنی کند، ما با او در آخرت دشمنی خواهیم کرد"40 و فرموده: "روز شنبه رسول خدا (ص)، یکشنبه امیرالمومنین، روز دوشنبه حسن و حسین، روز سه شنبه علی ابن الحسین و محمدابن علی و جعفرابن محمد، روز چهارشنبه موسی ابن جعفر و علی ابن موسی و محمدابن علی و علی ابن محمد، پنجشنبه حسن ابن علی و جمعه امام دوازدهم محمد ابن الحسن عسکری بوده و او همان "روزی که کل مردم در آن جمع میشوند " و "روز مشهود" است.

دلیل آن اینست که روز ها قائم به انسان هستند و ائمه کسانیند که از زمان حضرت آدم (ع) تا قیام قیامت ایام به ایشان وابسته هستند. پس زمان و مکان بپا داشته نمیشوند مگر بوسیکه کسانی که زمان و مکان به آنان وابسته است و آنان کسانیند که حیات روی زمین به آنا وابسته است کما این که گفته شده که زندگی زمین وابسته به انسان و زندگی انسان وابسته به علم است 41. پس اگرانشان در عالم وجود نداشت، نه زمینی وجود میداشت و نه آسمانی و این امر بخصوس در مورد انسان کامل حق مطلقی که خداوند ویرا ولی قرار داده و برای ولایت آنان از مردم پیمان گرفته است صدق میکند. درست است که آن ها چهارده نفرند ولی همه شان در گفتار و کردار و قیام در بین مردم و هدایت مردم و آنچه از طریق و به وسیله آن ها فیض میرسد، یک نفر به حسات می آیند چنانکه گفته شده: "همه آنان یک نور هستند". پس محمد (ص) همان علی و علی همان حسنین وبالاخره همه آنان حجت قائم (ع) هستند. هر وقت یکی از آنان قیام میکند، همه آنان قیام کرده اند و وقتی که یکی از آنان غایب شده و قعود نموده است، همهشان غائب شده اند. هرچند آن ها از نظر کمی متعدد و چهارده نفرند ولی از نظر کیفی یکنفرند. علمشان و سلوکشان و دعوتشان و همه آثارشان یکی است. نور واحدی هستند که مردم از ایشان نور میگیرند و در آنچه میگویند و عمل میکنند و میخواهند و امر میکنند ابدا اختلافی نیست و انبیا در این وحدت همگی تابع ایشانند. همه شان برای دین خدا قیام نموده و همگی در راه خدا مردند و کشته شدند. ابراهیم همان را میگفت که نوح گفت و موسی و عیسی همان را گفتند که حضرت محمد (ص) فرمود و خداوند نور و علم ایشان را به محمد (ص) کامل نمود. همه آن ها نور واحدی هستند که در مجاری حکمت خداوند متعال جریان می یابند. همه شان در دعوت و علم و حرکت عمل یکی اند هر چند از نظر زمانی و مکانی متعدد باشند. پس تعدد کمی آنها در صورت وحدت کیفیشان مشکلی ایجاد نمیکند و درست مثل سیب های متعددی هستند که از یک درخت روئیده است. دو نفر که یک حرف را میزنند مثل یک نفرند. میلیون ها نفر که در یک راه حرکت میکنند مثل یک نفر هستند که به یک مقصد واحد میرسند و در یک راه تفرقه ایجاد نمی شود و خداوند کل بشر را در سایه دعوت انبیا گرد می آورد و دعوت همه انبیا را در سایه دعوت خاتمشان و دعوت خاتمشان را در ظل دعوت امیرالمومنین تجمیع کرده و نهایتا دعوت کل آنان را در سایه دعوت امام دوازدهم گرد آورده و همه آنان را به وسیله او در درگاه رحمتش که با برکت و متعالی است گرد می آورد. هنگامیکه وی که سلام خداوند بر او باد بپا خیزد، تمام انبیا و مرسلین و صالحان و متقین به سوی او قیام میکنند و سلطنت عظیمی که خداوند به آل ابراهیم وعده داده ظاهر میشود. برای همین قیامت روز جمعه نامیده شده که در آن روز مردم برای او گرد می آیند و در کلام او که میفرماید: "و شاهد و مشهود"، روز مشهود است.

روز موعود همان است که خداوند کل بشریت را از زمان آدم تا روز قیامت به آن وعده داده و خداوند به وسیله آن فرج کل بشریت را میرساند. با قیام او فتح اکبر بروز میکند و او مصداق کامل این آیه سوره است که می فرماید:" و رایت الناس یدخلون فی دین الله افواجا". خداوند در این سوره این حالت اول را که روز دعوت و پذیرش آن برای حرکت و ورود به مکتب است، شرط قرار داده است.

پس از آن برای کل بشریت پس از حالت اول حالت دوم روی میدهد که عبارت از ورود به مکتب باشد و در آن کل حقایق آنچنان که برایشان واجب است روشن میگردد و آن حالت تسبیح و استغفار است.

بدان که تسبیح و استغفار و حمد کلماتی هستند که همگام با قبول دعوت بر زبان بشر جاری میشوند و با ورود به مکتب ولایت معانی آن بر دل ها مکشوف میگردد. کلمه تسبیح از سبح و سباحه در باب تفعیل مشتق شده که دارای یک معنی ذکری و تلفظی و یک معنی علمی و تکاملی است. معنای ذکری آن، چیزی است که بر زبان جاری میشود و معنای تکاملی آن، آنست که بر دل جریان می یابد. با آن ذات پروردگارت را از شباهت به آنچه که اصول خلائق علاوه بر فروع آنها بر اساس آن بنا شده به شکلی علمی و ذاتی تنزیه مینمائی. گوئی ذات پروردگارت را از شباهت به آنچه حقائق خلائق بر اساس آن بنا شده منزه میبینی.

و کلمه سباحه در رابطه با سباحت فارسی که آنرا شنا کردن میگویند به کار میرود و بسیاری آب را به علم و علم را به آب تشبیه کرده اند زیرا حیات مادی و معنوی بدان بستگی دارد و چنین تشبیهاتی در قرآن و کلام ائمه در تاویل بسیار آمده است مانند این آیه:.."آنزل من السمائ مائا فسالت اودیه بقدرها" (از آسمان آبی نازل فرمود که بر اساس قدر او در وادی ها سیلان یافت) 42. امام (ع) می قرماید: "از آسمان علمی نازل فرمود که به قدر او در قلوب جریان یافت"43. همان طور که حیات بدن ها متکی به آب است، حیات قلب ها و ارواح نیز به علم بستگی دارد بنا براین علم و آب مشابه هستند و شناگر،هم کسی است که در آب شَنا میکند و هم کسی است که در علم به طلب علوم و حقائق به شنا مشغول است. کلمه تسبیح از کلمه سباحت در علم گرفته شده است. انسان در دریاهای علم شنا کرده و پروردگارش را از شباهت به آنچه از مخلوقات خدا در دریا وجود دارد تنزیه می نماید. هرکس را خداوند متعال با علم و حکمتش از تشبیه وی به آنچه در عالم میداند بیرون کند، وی تسبیحگری حقیقی است که خداوند را از مجانست با مادیات و روحانیات منزه میداند.

تحمید هم مانند تسبیح یک معنی ذکری و لغوی دارد که عبارت از جمله ای مانند : "الحمد لله رب العالمین" است که بر زبان جاری میشود و نیز دارای یک معنی علمی است که پس از شناوری و خوض در دریاهای علم و حکمت به دست می آید و بر اساس آن پروردگارت را در خلقت و حکم و تقدیر و تدبیر، علیم و حکیم شناخته و در هیچ یک از صنایع عجیب و غریب و بدایعی که بر روی زمین وجود دارد چیزی را که لغو و بیهوده آفریده و شایسته مدح و شکر نباشد، نمی یابی. به همین ترتیب همه احکام را دارای حکمت می یابی. در اینجا است که پروردگارت را با کلیه صفات توصیف میکنی و با این توصیف اورا از اعمال عبث و سفاهت و ظلم و هر صفتی که موجودات غیر از او بدون حکمت داشته باشند منزه میدانی. با این علم و عرفان پروردگارت را وصف کرده و ثنا میگوئی و این ثنای مبتنی بر علم و عرفان، حمد به حساب می آید.

غفران هم دارای یک معنی لفظی یعنی گفتن "استغفر الله ربی و اتوب الیه" و "ربنا اغفر لنا..." و امثال آن است و یک معنای علمی و تکاملی است که با علم و در علم یافت میشود و بوسیله آن در برابر نقص، کمال و در برابر جهل، علم و در برابر ضعف، قدرت می خواهیم. کسی که نفس خود را جاهل و امر کننده به بدی مییابد، از پروردگارش می خواهد که این جهل را بر طرف نماید و خداوند او را بالا می برد. در واقع، او کسی است که در برابر ذنب خود از خداوند طلب غفران نموده است. بنا بر این ذنب در واقع نقص است و با عصیان فرق دارد. عاصی کسی است که عمدا خدا را نافرمانی نموده ولی مذنب کسی است که از روی قصور ترک فرمان اورا کرده است. قاصر غیر از مقصر است. قاصر کسی است که از روی هوای نفس و بدون علم، به هوای نفس عمل میکند ولی مقصر با این که علم دارد، علم خودرا ترک کرده به هوای نفس عمل میکند. مستغفر کسی است که خود را جاهل می یابد و از خداوند می خواهد این جهل را برطرف نموده و موارد غضب و رضای خود را به او بنماید تا او بتواند با هوای نفس خود مبارزه نماید . او نفس خودرا ضعیف می یابد و از خدا می خواهد وی را در برابر نفسش کمک نماید، نفس خود را برای ترک معاصی و عمل به واجبات عاجز میبیند، پس از خداوند در این جهاد و مبارزه استعانت می نماید و خداوند هم در نفس او توانی به وجود می آورد که معاصی را ترک و در برابر خواهش هایش کف نفس داشته باشد. این علم و قدرتی که به نفس وی افاضه شده، غفران نامیده میشود و مستغفر طالب این غفران است. درخواست غفران در برابر ذنوب و درخواست عفو در برابر عصیان است. قاصر، استغفار و عاصی، عفو می طلبد. خداوند آثار عصیان را که عبارت از تاریکی قلب باشد از قلب او محو مینماید چنان که میفرماید: "..یمحو ما یشائ و یثبت و عنده ام الکتاب.." (آن چه را که بخواهد محو و آنچه را که بخواهد تثبیت مینماید و ام الکتاب در نزد او است)44.

پس این دانش دوم در رابطه با تسبیح و استغفار که معنی علمی و تکاملی آن است، بود در حالی که معانی ابتدائی، معانی لفظی و ذکری بودند.

مردم در زمینه اطاعت و عدم اطاعت خداوند سه گروهند: عصیانگر، مذنب و مطیع. عاصی کسی است که از امر و نهی الهی با خبراست و به قیام پیامبر و یا ولی، حجت بر اوتمام شده است. در زمینه کفر و عصیان به او هشدار داده شده و به راه مستقیم هدایت شده است ولی عالمانه بر پروردگار عصیان ورزیده و گستاخی مینماید. اوامر خدارا در حالی که از آنچه به او امر شده آگاه است، ترک مینماید و معاصی را با وجود علم به آنچه از آن نهی شده مرتکب میشود. در نتیجه در قلب او بر اثر معصیت نقطه سیاهی به وجود می آید و با تکرار آن، این ظلمت در دلش تشدید میشود. چنانکه خدوند متعال میفرماید: "واللذین کفروا اولیائهم الطاغوت یخرجونهم من النور الی الظلمات.." (و آنها که کافر شدند اولیائشان طاغوت اند که آن ها را از نور خارج کرده به طرف ظلمت میکشانند)45. پس بر اثر ولایت اولیائ کفر، از نور خارج شده و بر اثر کثرت معاصی، ظلمت در قلبش تشدید میشود تا جائی که خطاهایش بر او احاطه پیدا میکنند و کفر بر او حاکم میشود چنان که خداوند میفرماید:" بلی من کسب سیئه و احاطت به خطیئته فاولئک اصحاب النار هم فیها خالدون."46 (بلی، آن که گناهی را کسب کرده و خطایش بر او غلبه نماید، آن گروه اهل آتش و در آن مخلدند). همان طور که آثار جراحت در بدن پیدا میشود، در قلب و نفس وی نیز آثار عصیان ظاهر میگردد. همان طور که هر ضربه و کشتنی جراحت بر بدن است، هر معصیتی زخمی بر دل میباشد. شاعر میگوید: زخم نیزه ها التیام می یابد ولی زخم زبان التیامی ندارد. آن زخم زبان بی درمان، زخم بر نفس و قلب است. کسیکه ترا دشنام میگوید، از دشنام او در رنج میشوی.

معصیت ها دو جور اند. یک جور آن مثل شراب خواری و ترک نماز و خودرا به هلاکت کشاندن معصیت کار را از خیر بیرون رانده و به سوی شر می کشاند. آثار این گونه معاصی بر قلب او وارد شده و تا خدا نخواهد محو نمیشوند. خداوند هم فقط از طریق توبه چنین اراده ای میکند. این گونه معصیتکاران بر اثر غلبه کفر و گمراهی بر دلشان، توبه نمیکنند. آنها امید به رحمت خدا ندارند تا به سوی او بازگشت نمایند.

نوع دوم معاصی، آنهائی است که ظلم به دیگران شمرده میشود مانند غیبت و دشنام و تهمت، کتک زدن مردم و غصب اموال آنان و کشتن ایشان که آثار آن در دل مظلومین ثبت میشود و آن ها به خداوند شکایت میبرند و خداوند ایشان را بر انتقام توانائی میدهد و آنها از ظالمین انتقام میگیرند. ظالم، با ظلم و عصیانش راه خود به سوی خداوند و مظلومین را قطع و امکان بازگشت به سوی خدا و مظلومین را برای طلب رضایت و باز کردن در بهشت بر خود از دست میدهد. هیچ جنایتی وجود ندارد که زخمی بر نفس ظالم یا مظلوم بجا نگذارد. این است آثار عصیان در نفس انسان. لازم است که آثار این نافرمانی از نفس ظالم و مظلوم پاک گردد تا ظالم از عصیان خود و مظلوم از عداوتی که نسبت به او دارند پاک گردد. درست مثل امراض و زخم ها که باید در بدن و مزاج شخص نمانده و معالجه شوند. همان طور که با زخم زدن و کشتن جراحاتی بر بدن وارد میشود، بر اثر کفر و نفاق نیز امراضی روحی ایجاد میشود که اگر معالجه نشود، در دنیا و آخرت آثار آن باقی مانده و شخص را از لذت آرامش و سلامت محروم میکند. خداوند میفرماید: "فی قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا بما کانو یکذبون" (در دل هایشان مرض است پس خداوند به خاطر تکذیبشان بر مرضشان می افزاید)47.

ه این امراض، اثر عصیان اند و جز با معالجه رفع نمیشوند و جز خداوند متعال کسی قادر به علاج امراض روحی نیست و جز از راه توبه این امراض را معالجه نمی نماید. دلیل این که معالجه این امراض نیاز به توبه دارد آنست که جز خداوند کسی قادر به زدودن آثار عصیان از قلب نیست و فقط توبه کار از فیض خداوند بهره مند میشود. تائب کسی است که خداوند را به علم و توانائی انجام هر کاری میشناسد و با بیماریهای دلش آشنائی دارد و فقط خداوند را معالجه کننده این امراض میداند بنا بر این به عرفان به قدرت وی بسوی او بازگشت مینماید و از او درخواست معالجه و عفو میکند. معنی عفو امحائ آثار ظغیان است و هر وقت آثار نافرمانی از دلش رفت، مورد عفو قرار گرفته است.

بدین ترتیب کسی که دارای تقصیر بر اثر عصیان است، نیاز به عفو و توبه دارد.

نوع دوم عصیان، به ذنب معروف است و مذنب کسی است که از روی قطور و نه تقصیر نافرمانی خدایش را میکند. قصور، غیر از تقصیر است. تقصیر وقتی است که بدانی کاری به مصلحت است و میتوانی با انجام آن آن مصلحت را به دست آوری یا بدانی که عملی مفسده دارد و بتوانی برای نجات از آن مفسده، ان عمل را ترک نمائی ولی علی رغم آن، صلاح را ترک کنی و به فساد عمل نموده و از نعمت خدا محروم شده و به عذاب او گرفتار شوی. در برابر پروردگارت عاصی شده و آثار این عصیان درنفست و جامعه ات ظهور یابد. در بدنت مریضی و ناسالمی ایجاد شود، به فساد معصیتت در نفست و فساد ظلمت در جامعه دچار شوی. دیگران بر اثر ظلمی که کرده ای ترا دشمن بدارند، از تو روی برگردانند و ترا یکه و تنها بگذارند زیرا آنها تورا محروم از لطف نعمت های خداوند و جز خداوند کسی قادر به جبران این خسارت نخواهد بود و او نیز جز به شرط توبه، آنرا جبران نخواهد نمود. این آثار بر اثر تقصیر مقصرینی که به عمل صالح نافع آگاهی دارند و میتوانند نسبت به آن اقدام نمایند ولی از روی گستاخی نسبت به خداوند، عصیان مینمایند و او نیز آنان را در این نادانی رها میکند و به خاطر انجام اعمال زشت و ترک اعمال نیک، عذاب میشوند.

و اما ذنب – در مقابل عصیان، عمل از روی قصور است. قصور مثل اعمال کودکانه است که فساد و صلاح اعمال را نمیدانند ولی دست به اقدام میزنند و نمیتوانند اعمال فاسد را ترک و یا اعمال صالح را در پیش بگیرند. ازروی قصور دست به عمل میزنند و دانش کافی برای ترک عمل خودرا ندارند. نادانیشان بر دانائیشان غلبه دارد و اعمال صالح را از روی جهل یا کمی استعداد، بر اثر غلبه فاسقین در حالی که سنی دارند ترک و از روی ضعف عقل و استعداد دست به اعمال حرام میزنند در حالی که میدانند خداوند آنان را از آن نهی فرموده. با اعمال حرام مبتلی به فساد میشوند و با ترک واجبات از آنچه به صلاحشان است محروم می گردند. آن ها همان طور که خداوند آنان را در کتابش وصف فرموده، مستضعف هستند: " الا المستضعفین من الرجال و النسا و الولدان الذین لا یستطیعون حیله و لا یهتدون سبیلا.." (جز مردان و زنان و کودکان مستضعفی که چاره ای ندارند و راهی بلد نیستند..)48

خداوند با عبارت: "لا یستطیعون حیله" (چاره ای ندارند)، به ناتوانی آنان و با عبارت: "لا یهتدون سبیلا" (راهی بلد نیستنند)، به کمی دانششان اشاره می فرماید. سپس به لطف و کرمش به آنها وعده میدهد و میفرماید: "عسی ان یعفو عنهم و کان الله عفوا غفورا.." ( چه بسا آنان را بیامرزد زیرا خداوند آمرزنده و بخشاینده است).

یک چنین گناهانی ناشی از قصور و نه تقصیر است و پیامبران نیز به ذنوب مبتلا هستند و ممکن است پیامبری گرفتار ذنب شود ولی امکان عصیان نخواهد داشت مگر اینکه عصیان را به معنی ذنب یعنی ترک عمل صالح یا انجام کاری ناشایست از روی قصور- و نه تقصیر، بدانیم. در کتاب های فقها این امر را ترک اولی مینامند چنان که خداوند میفرماید: "و عصی آدم فغوی." (و آدم مرتکب ذنب شده و گمراه گشت)49. سپس بر اساس آیه "..فوسوس لهم الشیطان و قاسمهما انی لکما من الناصحین.." (پس شیطان آنان را وسوسه نمود و برایشان قسم خورد که همانا من از خیر خواهان شما هستم)50. شیطان وی را وسوسه نمود و خوردن از آن درخت را برایش زینت داد پس بر اثر این وسوسه و قسم خوردن وی به خدای بزرگ که همانا از خیر خواهان وی است، عقلش از وی دور شد در نتیجه از روی قصور و نه تقصیر از آن شجره مصرف نمودند ولی بعد هر دو توبه نمودند و خداوند به ایشان روی آورد. [داوند میفرماید: "انما التوبه علی الله للذین یعملون السوئ بجهاله ثم یتوبون من قریب" (همانا خداوند پذیرش توبه را بر خود فرض نموده برای کسانی که از روی نادانی مرتکب عمل زشتی میشوند ولی به زودی به او روی میآورند)51.

پس اینگونه اعمال، ذنب نامیده میشوند نه عصیان و عامل آنها فرد قاصری است که نیاز به غفران دارد. به همین جهت، خداوند به انبیائ خود نسبت ذنب میدهد و آنهارا به عصیان متهم نمیکند و مثلا به پیامبرش می فرماید: "لیغفرالله ما تقدم من ذنبک و ما تاخر" (تا خداوند در برابر ذنب های گذشته و آینده، به تو غفران عنایت نماید)52. ذنب نیاز به غفران و عصیان، نیاز به عفو دارد و عفو به معنی محو اثر گناه است. هرکس از روی علم و عمد به پروردگارش عصیان ورزد، براثر آن در قلبش اثری یه شکل یک نقطه سیاه پیدا میشود و از یاد خدا دوری میکند و برای بازگشت قلبش به سوی یاد خدا نیاز به پاک شدن این لکه دارد. عفو، به معنای محو است. هنگامی که فرد بسوی خدا برمیگردد، خداوند این لکه را از دلش میزداید. ذنب، نافرمانی انسان از روی قصور و جهل نسبت به معصیت است. از روی جهل و یا ضعف برای ترک معصیت، آن را مرتکب میشود. مثل یک بازی کودکانه که در آن نافرمانی میکنند و نمیدانند و توجه ندارند که معصیت است. در این صورت، آن لکه سیاه در قلب ایجاد نمیشود که احتیاج به پاک شدن داشته باشد. عمل نادانانی که استظاعت رفتن به جای دیگری در زمین را ندارند و خداوند آنان را مستضعف توصیف مینماید، بر اثر ضعف عقل یا نداشتن قدرت ترک است. در این مورد در قلب مرتکب شونده آن نقطه سیاه که نیاز به عفو داشته باشد ظاهر نمی شود.

در این موارد از خداوند طلب غفران میکنند زیرا به غفران یعنی ظهور علم و قدرت در دلهایشان برای کسب استطاعت ترک عصیان نیازمندند. برای انبیا، ذنب مجاز است ولی عصیان مجاز نیست. گاهی آن ها از درک آنچه فوق استعدادشان و قدرتشان است قاصرند، ولی پس از درک مطلب، دیگر نافرمانی نمیکنند. مثلا حضرت نوح (ع) گویا خداوند را به خلف وعده متهم مینماید و عرض میکند: "..ان ابنی می اهلی و ان وعدک الحق.." (همانا پسرم از اهل من است و وعده تو نیز حق است..)53. و خداوند جواب میدهد: "انه لیس من اهلک و لا تسئلن ما لیس لک به علم.." (او از اهل تو نیست پس چیزی را که در مورد آن علم نداری از من مخواه). وی با اینکه پسرش کافری مثل سائر کفار بود، دلش به حالش سوخت. این درخواست وی از روی کمی فهم بود و نه از روی تقصیر.

همانا درخواست و سوئال به معنی دانش جوئی در نزد خداوند محبوب است و میفرماید: "..فاسئلوا اهل الذکر ان کنتم لا تعلموون" (از اهل دانش بپرسید اگر نمیدانید)54. ولی سوئالی مانند سوئال حضرت نوح (ع) اعتراض آمیز بود. انگار که وی خداوند را مسئول کارش میدانست. همینطور سوئال موسی از خضر به شکل مسئول دانستن او نسبت به سوراخ کردن کشتی بود و گفت: "ا خرقتها لتغرق اهلها؟" (آن را سوراخ کردی تا سرنشینانش را غرق کنی؟) و یا گفت: "قتلت نفسا زکیه بغیر نفس؟" (جان بیگناهی را بدون این که کسی را کشته باشد گرفتی؟). خضر جواب میدهد: "هذا فراق بینی و بینک" (اکنون زمان جدائی بین من و تو است)55.

سوالات فوق الذکر برای دانستن نبود، بلکه عنوان ایراد و اعتراض داشت و قصوری از جانب حضرت نوح و حضرت عیسی(ع) به حساب می آمد و طرح چنین سوالاتی از جانب انبیا ممکن است. شاید اگر کار به دست نوح بود و میتوانست دست پسرش را بگیرد و اورا به داخل کشتی بکشاند، این کار را بر خلاف مشیت خداوند، میکرد. سوال کرد و گفت "همانا پسر من از اهل من است.." این گونه سوالات و کارها از جانب انبیا ناشی از قصور آنان به معنی ترک اولی است و ذنب نامیده میشود و آنها پس از اینکه به آن پی بردند از پروردگارشان طلب غفران کرده و خداوند ایشان را می آمرزد.

غفران به معنی ایجاد علم و قدرت در وجود فاعل ذنب است و بر اثر آن بر ترک معاصی قدرت می یابد و دیگر به او عصیانی مثل آنچه در آیه: "و عصی آدم ربه فغوی" (و آدم نسبت به پروردگارش نافرمانی نمود و گول خورد) آمده است، نسبت داده نمی شود. این نافرمانی به معنی ذنب ناشی از قصور آدم و نه تقصیر او است.

بر اساس این تحقیق، کلماتی مانند تسبیح و حمد و استغفار در این سوره به معنی علمی و تکوینی آنها آورده شده اند هر چند معانی ظاهری آنها نیز مراد باشد.اگر فقط معنی ظاهری و لفظی مراد بود، مشروط به هیچ شرطی نمی شد و نمی فرمود: "اذا جائ نصر الله والفتح، فسبح بحمد ربک" و فقط در معنای علمی است که این شرط معنی پیدا میکند زیرا هنگامی که درب مکتب اسلام به روی همه باز شد و مردم گروه گروه به آن درآمده و خدارا شناختند، آنگاه است که نسبت به او خشیت پیدا کرده و ویراتسبیح مینمایند. انسان فقط از راه علم و عرفان است که پروردگارش را حمد و تسبیح مینماید. هنگامی که پروردگارش را شناخت و نسبت به او خشیت پیدا نمود، اورا حمد نموده و از روی عرفان میفهمد او در هرچه اراده کند و انجام دهد، ستایش شده است و او آنچه اراده کند از روی سفاهت و بیهودگی نیست و حتما در آنچه برای بنده اش بخواهد یا اورا از آن منع نماید، سودی برای بنده وجود دارد. امر و نهی وی نعمت است و لذا در هردو صورت مورد ستایش قرار میگیرد. مثلا مولایمان علی ابن الحسین (ع) در دعای خود از سلامتی و بیماری خود سخن گفته و برای هردو مورد خداوند را شکر میگوید و عرض میکند: "..و ما ادری ای الحالین احق بالشکر لک.." (نمی دانم کدام یک از این دو حالت بیشتر سزاوار شکرگزاری است). به ما میفهماند که هر کس را خداوند مریض نماید، به او لطف کرده و وقتی شفایش دهد، باز هم به او نعمت داده است. در هرچه برای بنده اش مقدر نماید، برایش سودی مقدر است. پس بر انسان واجب است در هر حالی اورا شکر گوید. حمید کسی است که به خاطر هر چه انجام دهد مورد حمد قرار میگیرد. فقط از راه علم و حکمت است که میتوانیم محمود بودنش در کلیه اعمال را درک کرده و وی را همان طور که در عطائش مورد ستایش قرارمیدهیم، در باز داشتنش هم مورد حمد قرار دهیم.

لازمه استغفار به معنی علمی آن، شناخت نقائص وجودی خود و منزه دانستن پروردگار از هر آنچه نفسش را به آن موصوف می کند، میباشد. کلیه این حالات فقط از طریق علم و عرفان قابل ظهور است. کسی که نقایص وجودی خود و آنچه را که از آن ناشی میشود دریابد، به سوی پروردگارش بازگشت (توبه) میکند و هر کس به پروردگار روی آورد، پروردگارش هم به او روی خواهد آورد.

باید دانست که توبه نیز دو معنی دارد که یکی معنی ذکری و دیگری معنای علمی است. معنای علمی آن بر چهار رکن که خود آنها نیز علمی اند استوار است.

اولین آنها، کشف مرض کفر و عصیان است. کافر باید خطرات کفر و نفاق خود را بداند و بداند که به خاطر آنها از رحمت فراگیر خدا و نعمت های فراوان او محروم است.

دوم اینکه بداند خداوند متعال طبیبی است که بر معالجه مرض کفر و عصیان او قدرت دارد و هیچ کس دیگری ولو امام معصوم باشد، بر این کار توانائی ندارد. بداند او کسی است که قلبش را به نور ایمان روشن و با روح ایمان زنده میکند و به کمک این روح از کفر به سوی ایمان انتقال یافته و با زندگی ایمانی، از نقص به کمال تحول مییابد.

سوم این که با ترس از مرض کفر و عصیان به خدا پناه برد و بداند که نفسش شیطانی است که اورا به بدی و زشتکاری سوق داده و با امر و نهی های خود، وی را هلاک مینماید زیرا نفس به اقتضای خود، انسان را در مسیر کفر سرعت داده و اورا در مسیر ایمان و اطاعت کند میکند. انسان تائب نفسش را شناخته و میداند که بدترین دشمن اواست و سپس همان طور که آدم وحشت زده از گرگ فرار میکند، از شر نفسش به خداوند پناه ببرد و بداند که خداوند، قلعه ای محکم است.

شرط چهارم توبه، درخواست معالجه کفر و نجات از شر نفس توسط خداوند است.

توبه با این شرائط برقرار میشود و خداوند بدین ترتیب وی را از این گونه امراض معالجه نموده و با روح ایمان و آیات قرآن شفا میدهد. در این زمینه میفرماید: "و ننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمه للمومنین" (ما آیات قرآن را که برای مومنین درمان و رحمت است نازل میکنیم) 57.

بدان که عمل، تابع تحقق این شرایط علمی است و علم، مقدم بر عمل و عمل، تابع علم است. گفته شده که عالم بی عمل مثل درخت بی ثمر است و عمل کننده بدون علم مثل الاغ آبکش از چاه است. هر کس نفس خود را بشناسد که بزرگترین دشمنش است و بیماری های نفسانی خودرا بشناسد و بداند که فقط خداست که طبیب معالج اوست، از شر نفسش به سوی خداوند میگریزد و از خداوند میخواهد که از رحمت واسعه اش به او عطا نموده و اورا از کفر به ایمان متحول نماید، در این صورت توبه از او بروز نموده و دیگر ممکن نیست به کفر و عصیان برگردد.

بدین تر تیب معلوم شد که توبه و استغفار و تسبیح و حمد همگی حقائقی علمی هستنند که در سلوک به سوی خداوند متعال برای انسان حاصل میشوند. تسبیح علمی اینستکه خداوند را از شباهت با جسمانیات و همرنگی با کیفیات، منزه بدانی. و حند کردن علمی آنستکه حکمت خداوند در هرچه میکند و میگوید را بشناسی و بدانی که هرچه اراده میفرماید برای اصلاح نفس تو است و به وسیله آن تورا از کفر و عصیان نجات داده و به توبه و ایمان میکشاند و بنا بر این در کلیه اعمال و افعال، محمود است پس برای هر آنچه از فقر و غنا برای تو مقدر فرموده، ویرا سپاسگزاری مینمائی. استغفار از دیدعلمی و تکاملی نیز یعنی شناخت نقائص وجودی خود و درخواست رفع نقائص و بالابردن به سوی کمالات از پروردگارت است. نهایتا توبه از جنبه علمی یعنی دانستن این مسائل چهارگانه.

بدین ترتیب رجعت مردم دارای دو مرحله است: مرحله اول روزی است که کفر و درجه ایمان و نقائص وجودی خود را بر اساس معرفی که باید دارا باشند، در می یایند و سپس روز دوم فرا میرسد که در آن به سوی خداوند رجعت نموده و از نقائص خود به سوی کمال بالا می روند و با فضائل اکتسابی خود به سوی خداوند برمیگردند.

روز اول، همان زندگی دنیا و روز ورود و دخول به دین خدا است. روز پناه بردن و درخواست کمال است و روز دوم که همان زندگی آخرت است، روز رجوع به سوی او از راه تکامل و آموزش می باشد چنانکه خداوند میفرماید: "..هو الذی خلقکم ثم یمیتکم ثم یحییکم ثم الیه ترجعون.." (او کسی است که شمارا آفریده و سپس می میراند و پس از آن زنده میکند و سپس به سوی او رجوع مینمائید)58. با این آیه خبر میدهد که بازگشت شما به سوی خداوند متعال، پس از زنده شدن بعد از مرگ است. به همین جهت می بینیم که در این سوره تسبیح و تحمید و استغفار را جزای یک شرط قرار داده و آن شرط، ظهور نصرت و فتح و دخول مردم به دین خدا به صورت گروه گروه میباشد. بنا بر این، معنی واقعی شرط و جزا در این سوره شریفه که سوره نصر است، همین است.

1. سورة الفتح آیة 1 [↑](#footnote-ref-2)
2. [↑](#footnote-ref-3)
3. [↑](#footnote-ref-4)
4. [↑](#footnote-ref-5)
5. [↑](#footnote-ref-6)
6. [↑](#footnote-ref-7)
7. [↑](#footnote-ref-8)
8. [↑](#footnote-ref-9)
9. [↑](#footnote-ref-10)
10. [↑](#footnote-ref-11)
11. [↑](#footnote-ref-12)
12. [↑](#footnote-ref-13)
13. [↑](#footnote-ref-14)
14. [↑](#footnote-ref-15)
15. [↑](#footnote-ref-16)
16. سورة الفیل: آیة 1الی آخر [↑](#footnote-ref-17)
17. سورة قریش، آیة 3 [↑](#footnote-ref-18)
18. [↑](#footnote-ref-19)
19. سورة بلد آیة 1 [↑](#footnote-ref-20)
20. [↑](#footnote-ref-21)
21. [↑](#footnote-ref-22)
22. [↑](#footnote-ref-23)
23. [↑](#footnote-ref-24)
24. [↑](#footnote-ref-25)
25. [↑](#footnote-ref-26)
26. [↑](#footnote-ref-27)
27. [↑](#footnote-ref-28)
28. [↑](#footnote-ref-29)
29. [↑](#footnote-ref-30)
30. [↑](#footnote-ref-31)
31. [↑](#footnote-ref-32)
32. [↑](#footnote-ref-33)
33. [↑](#footnote-ref-34)
34. [↑](#footnote-ref-35)
35. [↑](#footnote-ref-36)
36. [↑](#footnote-ref-37)
37. [↑](#footnote-ref-38)
38. [↑](#footnote-ref-39)
39. [↑](#footnote-ref-40)
40. [↑](#footnote-ref-41)
41. [↑](#footnote-ref-42)
42. [↑](#footnote-ref-43)
43. [↑](#footnote-ref-44)
44. [↑](#footnote-ref-45)
45. [↑](#footnote-ref-46)
46. [↑](#footnote-ref-47)
47. [↑](#footnote-ref-48)
48. [↑](#footnote-ref-49)
49. [↑](#footnote-ref-50)
50. [↑](#footnote-ref-51)
51. [↑](#footnote-ref-52)
52. [↑](#footnote-ref-53)
53. [↑](#footnote-ref-54)
54. [↑](#footnote-ref-55)
55. [↑](#footnote-ref-56)
56. صحیفة سجادیه، دعائه عند المرض، دعای پانزدهم [↑](#footnote-ref-57)
57. [↑](#footnote-ref-58)
58. [↑](#footnote-ref-59)
59. [↑](#footnote-ref-60)